المكتبة السيكلوجية

٤

هلا بوك شوب



المكتبة السيكلوجية

الشخصية العبقرية

عاطف عمارة

الناشر
هلا بوك شوب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ظلت العبقرية أمداً طويلاً من الدهر .. من أكثر الأمور المحيرة للعقول .

ورغم أن العبقرية ذاتها ظاهرة إنسانية من الظواهر العقلية التي يتمتع بها الانسان ويتميز بها عن سائر الكائنات الأخرى، الا أن العقل الإنساني نفسه قد وقف طويلاً أمام هذه الظاهرة «الخارقة» وقد حيره أمرها طويلا فراح يحاول إيجاد شتى التفسيرات لها وهو يشعر بضخامة تلك الظاهرة وتضاؤل قدرته أمامها فنسبها إلى الظواهر الخارقة حينا أو إلى كل ماهو خارج عن المألوف حينا آخر .

لهذا تعددت تفسيرات وتعريفات العبقرية، وتنوعت بتنوع خصائص وميدان التعريف نفسه. بل تطورت تلك التفسيرات بتطور العقل الإنساني واتساع ميادين المعرفة الانسانية وتطورها . واقتضى الأمر زمنا طويلاً حتى تتخلص « ظاهرة العبقرية» مما أحاط بها من الأوهام والخرافات التي

أخرجتها من نطاق الظواهر الانسانية وألحقتها بالظواهر الغيبية التى لا تفسير لها سوى القوى الخفية .

فالعبقرية من ألصق الظواهر العجيبة بالانسان، والانسان نفسه رغم التقدم المعرفى الهائل الذى توصلت إليه البشرية عبر العصور مازال يمثل تحديا عظيما للعقل الإنساني .

صحيح أن هناك تعريفات كثيرة للإنسان، وإحاطات معرفية واسعة المدى بتكوينه البيولوجي ووظائفه الفسيولوجية، الأمر الذى يجعل من الجسد الانسانى ميدانا معلوما لنا بكل دقائقه وتفاصيله. لكن الانسان ليس مجرد هذا الجسد، ان الانسان هو الكائن المتكامل المتكون من الجسم ووظائفه مضافا إليهما . الشخصية أو الذات أو الكينونة، وكلها مسميات لتكوينات نفسية منبثقة عن الجسد نتيجة لنشاط ووظائف الاعضاء البيولوجية.

وصحيح ان معارفنا وعلومنا المتقدمة تضم علما للنفس تكثر مدارسه، وتتنوع ويحاول كل منها ان يقدم لنا التفسير العلمى للانسان من خلال نشاطه النفسي . لكن يجب أن نقول ان اغلب هذه المدارس النفسية لم تقدم لنا عن الانسان سوى مجموعة هائلة من الافتراضات والتخمينات والاستنتاجات القائمة على ملاحظة السلوك، فالنشاط النفسى لايمكن الامساك به ولايمكن دراسته الا بعد تجسده في صورة سلوكية محددة قد تدل على النشاط الداخلى . أى أننا ندرس النفس منعكسة في مرآة السلوك ، ومايصل الينا إذن من النفس ليس اكثر من الشبح الذى ينطبع على المرآة. وهذا ما يدفعنا الى القول بأن الانسان مازال أعجز الكائنات عن معرفة

نفسه رغم انه يعرف كل شيء عن الكون وموجوداته والقوانين التى تحكم الوجود والطبيعة .

فاذا كان هذا هو شأن الانسان فمن البديهى ان تظل الصق الظواهر بنشاطه العقلي أو الذهني على قمة قائمة الظواهر المثيرة للتساؤل والدهشة. وان يظل العقل الانسانى متحيراً في محاولة إيجاد التفسير الصحيح لهذه الظواهر ومنها العبقريـــة .

ومن البديهي أيضا أن تتنوع التفسيرات وتختلف وتتضارب وتتصارع فيما بينها، ومن البديهى ايضا أن يكون الخرافة والوهم والخيال نصيب من المساهمة في محاولات التفسير المتعددة .

لكن رغم كثرة التفاسير الخاصة بالعبقرية . يبقى التفسير العلمى هو التفسير الوحيد الصحيح الذى ينطبق تماما على الظاهرة المدهشة المعروفة بالعبقرية، ورغم ذلك يرى هذا التفسير ان العبقرية ليست اكثر من ظاهرة إنسانية ..

إذا كانت العبقرية ظاهرة إنسانية فمعنى ذلك أنها ظاهرة لا أسباب لها سوى القوى العقلية والنفسية في الانسان. كما أن ظاهرة العبقرية لاتتصف بالعمومية الشديدة التى يضفيها عليها لفظ (الانسانية) إذ ليس كل البشر عباقرة. لانهم ليسوا جميعا على درجة واحدة من الذكاء والنبوغ والتفوق وان كانوا جميعا بنفس القدرات العقلية أو النفسية ، إذ الفصل في ظهور العبقرية هو تنمية تلك القوى والقدرات أى تنمية الشخصية .

العبقرية إذن ظاهرة تتسم بالذاتية والفردية الى جانب اتصافها بالانسانية ، وهى ظاهرة ترتبط بنمو الشخصية .. فالشخصية ونموها وتطورها هو سر عبقرية العبقرى .

لكن لماذا تصل بعض الشخصيات الى النبوغ والعبقرية دون غيرها ؟

الحق أنه لا يختلف الانسان عن سائر الحيوانات الأخرى في أى شيء سوى الشخصية. جميع القوى والميزات التى يملكها الانسان، يملكها الحيوان ، بما في ذلك العقل والذكاء ، أما الشخصية المتفردة التى تميز الكائن عن بنى جلدته فهى الشيء الوحيد الذى يميز بنى البشر، بل يميز الانسان عن الانسان، الفرد عن الفرد، ومعنى هذا التفرد هو إلغاء التطابق التام بين بنى البشر، حتى لوجمعهم المجتمع الواحد. أو العقيدة الواحدة، وقبل ذلك النوع الواحد، والشخصية هى التى تلغى هذا التطابق وتحفظ للإنسان هويته الفردية وكيانه الإنسانى . فلا يكون مجرد (كائن اجتماعى) أو مجرد عضو في مجتمع مثله مثل أى عضو في خلية نحل أو مجتمع نمل لايمكن التمييز بين أفراده .

وجود الشخصية في الانسان من أدلة رقيه وتميزه عن الحيوان. انها تميزه عن الحيوان لانها سبب التفرد والهوية والكينونة الفردية فيه، لكن قبل ظهور هذه الكينونة التى تبنيها الشخصية الانسانية لذاتها. لم يكن الانسان سوى مجرد ذلك «الكائن البيولوجى» الذى ورث عن والديه بعض الاستعدادات الفطرية والميول. ونتيجة للوظائف الفسيولوجية (وظائف الاعضاء) في الكائن البيولوجى يظهر النشاط الفعلى والنفسى الذى يتجه الى هدف وحيد هو

اكتساب الكينونة الذاتية وفقا لنموذج مثالي للشخصية يتبناه الانسان بعد تصوره او تخيله .

« التخيل» إذن من أهم العوامل التى تساهم في بناء الكينونة . ويدخل فيه التصور والتمثيل، وهو كذلك من الوسائل التى تستخدمها الكينونة في تحقيق إمكانياتها وذاتيتها . بل في تحديد بنية علاقاتها مع العالم والغير. والتخيل جزء لا يتجزأ من الإرادة، لأنه جزء لا يتجزأ من العقل نفسه. فكلما ارتقى العقل ارتقى الخيال وارتقت معه قوة التصور وكلما ارتقى التصور ارتقى الوعى والشعور .

هناك إذن صلة عظيمة بين الرقى الإنساني والخيال والإرادة، فالخيال والارادة القوية في الانسان هما من أهم عوامل الإبداع والتحضر وصناعة الحضارة، إذن لكى يتحقق للإنسان الرقى الفعلى . عليه أن ينمى امكانياته وقدراته وملكاته النفسية والعقلية وعلى رأسها الخيال وقوة الإرادة ، إذ الشخصية التى تفتقر إلى الخيال والارادة . شخصية جافة تفتقر الى الحياة بسبب جفافها وجدبها وعجزها عن الخلق والابتكار والإبداع لذا فهى شخصية تفتقر إلى التميز والتفرد، شخصية تقليدية، محدودة النجاح، مهما كان نجاحها، أما عظماء البشر فترجع عظمتهم وعبقريتهم الى التفرد والتميز والخيال وقوة الإرادة .

والمعنى هو: ان عظمة الإنسان الحقة وعبقريته الحقيقية تكمن في تحقيقه الفعلى لمعنى الإنسانية الحقة، وهو أن يحقق الرقي نفسه .

ذلك ان جميع البشر لا يهتمون بذلك ويحيون حياتهم الاجتماعية في مجتمعات ترتد بهم إلى الحيوانية لأنها تلغى عوامل التفرد والنبوغ والتميز وتعرقل نمو الشخصية وتطورها وتمسخ استقلالها .

إن النشاط النفسي والعقلي في الإنسان يتجه نحو الإبداع والبناء، نحو الكينونة، لامتلاكها وتحقيقها في استقلالية، أي نحو الابداع بداية من «ابداع الذات» الفردية وانتهاء بإبداع الوجود وقيمه المعنوية والمادية، لكن الحياة الاجتماعية - في عالمنا - تحول بين هذا الاتجاه ومساره الصحيح، وترتد بالانسان من التميز والتفرد الى حياه البشر العاديين .

إن النمط الجمعي للوجود المجتمعي يعرقل (تبلور) النشاط النفسي والعقلي في الانسان، أي يعوق تطور الشخصية ويعمل دائما على حرف مسارها التطوري ليمنعها من الوصول الى هدفها الأخير وهو الانتقال من التبلور الى التجوهر أي من الرقي ، والانتقال من الشخصية المتبلورة الى الذات المتجوهرة . فأغلب المجتمعات القائمة على الهويات الجمعية تمنع هذا التطور العقلي - النفسي فتظل الشخصية الانسانية بين افرادها ممسوخة غائبة في الهوية الجمعية، أي فاقدة للتفرد عاجزة عن التبلور ومن ثم التجوهر والاستقلال .

تميز الشخصية واستقلالها إذن من أهم شروط العبقرية ، أي من أهم شروط تحقيق الرقي الانساني ونجاح الحياة في الوصول الى غايتها . وهي تحقيق ذاتها وفقا لناموس التطور. وتجوهر شخصيات الأفراد شرط أساسي لنهضة المجتمعات، إذ يستحيل ظهور العبقرية في الشخصيات الضعيفة أو الممسوخة أو حتى الشخصيات العادية التقليدية .

ولاأظن أننا نهتم كثيرا في مجتمعنا بأساليب تربية الطفل أو الشاب الموهوب الذى أظهر نبوغا مبكرًا، سواء على مستوى الاسرة أو التعليم، بل يمكننا أن نقطع بالقول ان اساليب التربية والتعليم في مجتمعنا مازالت قاصرة حتى عن تأهيل وتعليم الصغار والشباب العاديين فضلا عن أن تكون قادرة أو مستعدة لتعليم الموهوبين والعباقرة. وهذا القصور التعليمى يرجع أساسا الى تناقض المواد التعليمية وعدم كفاءة المناهج وعجز التعليم عموما عن الأهداف العامة للمشروع النهضوى منذ فجر النهضة الحديثة في مجتمعنا وحتى يومنا هذا . ولانعتقد ان التعليم يمكنه القيام بمهمته المطلوبة على أفضل وجه قبل التخلص من تلك الازدواجية المقيتة التى تكرسها المواد والمناهج التعليمية والتى تحول أساسا بين الطالب وبين التفكير العلمى السليم.

من هنا تأتى أهمية الدعوة الى الاهتمام بالطفل الموهوب أو الشاب النابغ. وتأتى أهمية الدعوة الى تزايد الابحاث عن العبقرية والنبوغ ومعوقاتها في مجتمعنا والشروط اللازمة لتنميتها باعتبارها من العوامل الهامة الدافعة للمجتمع على طريق النهضة والتطور .

لذا كان من الأهمية القصوى أن نشير الى الأخطاء الشائعة في فهم العبقرية. وهى اخطاء شائعة في المجتمع القائم على الهوية الجمعية اكثر من المجتمعات المتقدمة ولذا كان من الاهمية كذلك ان نقوم بنقد النظريات المفسرة لظاهرة العبقرية تفسيرا غيبياً ، أو تفسيرا عنصريا يكرس الاستعمار والاستغلال بين الشعوب فمازال التفسير الذى يربط بين الجنون والعبقرية

يجد رواجا في أوساط بعض العلماء وليس لدى العامة فحسب لكننا نجد على غير هذا النحو، أن الجنون الحق هو « تجميد الوجود الذاتي الحي المتوتر» في نمط متجمد، ثابت، غير خاضع للتطور وغير قابل للنمو. على ان جنون تنميط الوجود الذاتي أو الجمعي يجد له عدة اشكال في عصرنا، لكنها تنتهي جميعا إلى نفس النتيجة وهي وضع المزيد من الأغلال التي تكبل انطلاق القدرات الذاتية للإنسان والتي يعتبر انطلاقها شرطا أساسيًا لتحقق العبقرية .

ان الذين يلجأون إلى تفسير الظواهر الطبيعية والانسانية بالأوهام والخرافات هم أبناء البيئة التي يحكمها الجنون التنميطي الذي يهدف الى تنميط البشرية وطمس الهويات الفردية وضمها في هويات جمعية غير متمايزة باسم « السعادة الانسانية » أو أوهام « المجتمع الكامل » ان أبناء هذا المجتمع يقتلون الإنسان باسم الحياة أو باسم الإنسان نفسه !! .

يشارك في هذا الجنون أنصار التفسير الفسيولوجي لظاهرة العبقرية كما سنرى لأنه تفسير عنصري يجعل السيادة بين الشعوب مخصصة لشعب معين بحجة تفوقه الوراثي عن سائر الشعوب الأخرى، أو يجعل التميز والتفوق والنبوغ محصورا في عنصر أو عرق أو لون من البشر مما يبرر استغلال المتميز والمتفوق وراثيا لغير المتفوق مسأله شرعية لها مبررها الوراثي !! .

وعلى النقيض من ذلك نحن نقول بأن العبقرية اكتساب يتحقق بتنمية المواهب والقدرات الفعلية للإنسان ، وان جميع البشر يملكون تلك القدرات

والملكات. وأن شرط ظهور العبقرية هو تنمية تلك القدرات والمواهب .. نحاول في هذا الكتاب ان نقف على معنى العبقرية ، وان يقف القارىء معنا على صفات العبقرى والصلة التى تربط بين الشذوذ أو الخروج على المألوف وبين العبقرية، ومن ثم نحاول كذلك ان نرسم الملامح العامة للشخصية العبقرية والوسائل التى تعتمد عليها تلك الشخصية في إبراز خصائص تميزها ونبوغها سواء كانت تلك الوسائل ذاتيه سيكلوجية تستند إلى ميزات خاصة يمكن اكتسابها ، أو كانت وسائل خارجة عن نطاق الاكتساب والقدرات الذاتية مثل « الإلهام» النابع في الغالب عن القوى الغيبيـــــة .

ومن أهدافنا أيضا ان نضع القارىء أمام مجموعة من الاختيارات الخاصة التى يمكنه بها أن يحدد قدراته ومواهبه الذاتية حتى يتمكن بعد ذلك من التقدم النفسي بخطى أسرع نحو إكتساب العبقرية ، لأننا نؤمن أن العبقرية من الأمور التى يمكن اكتسابها بتنمية المواهب والقدرات الخاصة للإنسان « الفرد» .. ولذلك أيضا نؤمن أن العبقرية ليست حكرا على مجموعة من الناس دون غيرهم . وأن بإمكان اى انسان ان يحقق تلك العبقرية فيما لو تعرف على نفسه ومواهبه وقدراته الحقيقية وحرص على تنمية تلك المواهب والقدرات في ضوء معرفته بالشروط اللازم تحقيقها في الشخصية العبقرية .

عاطف عمارة

الفصل الاول

من هو العبقرى ؟

عادة ينظر الناس الى العبقرى من زاوية الشذوذ، أى من زاوية اختلافه هو عنهم، فالشذوذ العبقرى يقصد به غالبا ارتباط العبقرية بكل ماهو خارج عن المألوف أو مغاير للمتفق عليه بين الناس. والواقع ان العبقرية لا تظهر في الأفراد المستسلمين للمألوف أو المتعارف عليه بين الحشد (المجموع) إذ العبقرية بما هى نبوغ فائق أول شروطها تحقق الشخصية المستقلة عن المجموع، يلي ذلك التميز التدريجي لهذه الشخصية نتيجه شمول رؤيتها وموقفها من الحياة وكل مافيها من أفكار ونظم وأعمال .

فالتمرد على الواقع والمألوف والكائن بالفعل أوالمتعارف عليه من أهم سمات الشخصية العبقرية التى تحركها دائما شهوة عارمة للابتكار والتجديد، الهدم وإعادة البناء، النقد والإبداع، وغنى عن القول إن الموقف الثورى أو الطابع المتمرد العبقرى هو مايدفعه الى التميز عن « الحشد» وانه لولا هذا التميز لماتت عبقريته وسط الجموع المتشابهة ، غير الناقدة ، غير المبدعة، المستسلمة لما ولدت عليه في المجتمع من أفكار ومعارف ونظم وسلوكيات وأنماط في الفكر والمعرفة .

وبسبب هذا الطابع الثوري التمردي ينظر الناس (الحشد) الى العبقري من زاوية الشذوذ والخروج عن المألوف، إنهم يعتبرونه شاذا أغلب الأحيان وكثيرا ما يصفونه بالجنون لخروجه عن المألوف ومخالفته لهم في كل شيء في حياتهم مهما كبر أو صغر .

ومع ذلك يجب أن نميز في رؤية الحشد للعبقري بين الجنون المصاحب للعبقرية، وهو الجنون الذي نعنيه هنا وبين جنون آخر يطلق على المرضى بالفعل ، فالجنون الأول يجد لدى العامة تقديراً ودهشة لارتباطه بالعبقرية وهو لايعني اكثر من النبوغ أو التميز الفائق عن الجميع .. أما الجنون المألوف فهو مايطلق على أنواع مختلفة من المرض العقلي ينظر إليه غالبا بتهكم أو اشمئزاز، وكأن «الضمير الجمعي » لكل جماعة من الناس قد أرتضى لنفسه مجموعة من المبادىء والقيم والبنى الفكرية والاجتماعية، يعتبر الخروج عليها جنونا من كثرة مايتواضع الناس على تلك الافكار ومن كثرة ألفتهم لها وبناء حياتهم عليها . وهم في ذلك يخضعون للتكرار والتعود والآلية والروتين الذي يحيل الحياة الجمعية إلى «نمط متجمد» يخضع لقواعد وأفكار مسبقة تعد من المسلمات الثابتة التي يجب الحفاظ عليها والتمسك بها لحفظ الحياة والمجتمع معا .

أما العبقري فهو يأتي إلى الدنيا بنهم شديد إلى التهام المعرفة والبحث عن الحقيقة، وهو لايقبل كل مايقدم إليه من الأفكار ، مهما كانت، على انه من المبادىء المسلم بها . أو الحقائق القاطعة، إذ لا حقيقة مطلقة تعلو على الشك أو النقد والبحث. ولولا هذا الإيمان لما تقدمت المعارف والعلوم الانسانية أو

الطبيعية فالواقع والبشر الذين يضعونه تحكمهم قوانين أميل إلى الثبات والاستقرار والتعود والجمود والخضوع لما هو كائن ومعترف به، أما العبقرى فتحكمه قوانين أخرى مختلفة تماما .. قوانين أميل إلى النقد، والتحرر والتمرد والتطور والمرونة والتجدد والإبداع والطموح اللامحدود .

ولولا تمرد العبقرى على البيئة التى ولد ونشأ بها لما تطورت تلك البيئة أو تقدمت ، وبهذا المعنى يصبح العبقرى هو الصانع الحقيقى للحضارة باعتباره الإنسان الأوحد الثائر على « النمط الثابت للحياة » .. النمط المعترف به والذى يعتبر «الحشد» الخروج عليه خروجا عن المألوف أو شذوذا عن العرف والتقاليد .. الخ .

وهو الانسان الوحيد القادر على التغيير والتجديد وقلب المفاهيم وكشف الأخطاء، وتحديد الحقائق من خلال الثورة على القديم أو الثابت أو المألوف المعترف به. فالتطور الرهيب في المعرفة الانسانية عبر العناصر الرئيسية التى تساهم في بناء الحضارة وهى الدين والعلم والفلسفة والفن هو تطور يصنعه رجال عباقرة ، والعباقرة وحدهم هم من يملكون القدرة على الإبداع والتطوير والتجديد في هذه الميادين وليس أحد سواهم . ولأن الاهتمامات الرئيسية لهذه الميادين لاتشغل سوى العقول الكبرى، فان العبقرية ذاتها قد ارتبطت بالذكاء الخارق للعادة، وايضا بما يتصل به من اختلاف في انماط التفكير العبقرية عن نمط التفكير السائد في مجتمع ما .

وفي بعض الأحيان ترتبط العبقرية بقوى غيبية ميتافيزيقية في أذهان بعض الشعوب، أو في مرحلة معينة من مراحل تطور الفكر البشرى ، ويعزى

تفسير العبقرية في هذه الحالة الى تلك القوى الغيبية التي تلهم العبقري وتوحي إليه إبداعه، والعرب أميل الناس الى هذا التفسير الغيبي للعبقرية، فهم ينسبونها الى الجن أو الملائكة، أو جماع المخلوقات الروحية التي تلهم العباقرة.

ومن هنا كانت بين العبقرية والقوى الغيبية، الخارقة للطبيعة، صلة تجعل العبقرية ذاتها متضمنة لجوهر غامض، غيبي، غير بشري، أي فائق للطبيعة والمألوف. حتى لفظ «العبقرية» عندهم، في أصله يشير إلى أحد الوديان القديمة في الصحراء العربية، وهو «وادي عبقر» الشهير الذي لايسكنه سوى «الجن» والذي لم يكن ليذهب إليه سوى الشعراء او الكهان للاستعانة بالجن في التنبؤ بالغيب أو قرض الشعر أو ما إلى ذلك من الأمور التي يحتاج فيها الإنسان إلى مدد من القوى الغيبية. ثم توسع العرب بعد ذلك في معني العبقرية ولم يقصروها على التنبؤ والشعر وانما اشتملت عندهم كل غامض وخارج عن المألوف أو عظيم الصنع حتى قالوا بالعبقرية عن الاشياء المصنوعة كالسجاد والآنية والبسط والثياب الموشاة في قرية عبقر باليمن، فكل ماوجدوا فيه المبالغة نسبوه إلى عبقر ونعتوه بالعبقرية.

وقبل العرب ربط اليونان والرومان بين العبقرية والقوى الغيبية، وكلمة «جنياس» التي تعبر عن العبقرية في الانجليزية اليوم مشتقة من أصل كلمة «جنياس» اللاتينية التي استخدمها الرومان قديما لتدل على معنى (الروح) الخالق، والحفاظ للحياة، وكان لكل شيء من الجمادات والكائنات الحية والبشر مثل هذا الروح الحارس.

وعلي مر العصور تطور تفسير العبقرية وتحرر من المعنى الغيبي وتجاوزه، إلى المعنى العقلي أو الفسيولوجي أو الاجتماعي، أو جماع هذه العنصر، فالعبقرية هي أولا وأخيرا جماع: الموهبة والاستعداد الفطرى والإبداع والخلق الرفيع والروح الناقد المتمرد والشخصية المتفردة المتميزة والذكاء والقدرة على حل المشكلات .

ومن المعروف إنه لكي نصف الشخص حقا بالعبقرية فلابد بجملة من الصفات نذكر منها :

الذكاء الخارق

فالذكاء من أهم خصائص العبقرية، بل الذكاء الخارق للعادة. لان الذكاء يتوافر لدي كثير من الناس مع التفاوت في الدرجة، فمن الناس من هم دون الحد المتوسط للذكاء . ومنهم من يتجاوز هذا الحد بقليل ، ومنهم من يتصف بالذكاء الحاد (النابغ) .. ولكن كل هذه الدرجات من الذكاء تقف دون الذكاء الذي يجب أن يتوافر في الشخصية العبقرية وفقا للمقاييس التى حددها علماء النفس لدرجات الذكاء المختلفة بداية من الدرجة السفلى (البلاهة) وحتى أقصى درجات النبوغ التى لايفوقها في الذكاء سوى درجة العبقرية .

فالعبقرية ليست مجرد الذكاء الفائق على ماهو شائع، بل الذكاء لايتعدى كونه مجرد أحد العناصر المشاركة في صنع وتكوين العبقرية . وهو على ذلك من أهم هذه العناصر.

الموهبة المتميزة

لابد لكل عبقرى من موهبة « متميزة » إلى جانب تفوقه الذهنى عموما ونبوغه الفائق في شتى المجالات . فالذكاء وحده لايكفى . والشمولية المعرفية لاتكفى كذلك، إذ لابد من التخصص في نوع محدد من أنواع العلوم أو الفنون تحدده الاستعدادات الخاصة للعبقرى بحيث تتميز الشخصية العبقرية في هذا النوع دون غيره وفقا لمواهبها واستعداداتها عن سائر أقرانها من المختصين في نفس الميدان .

وأغلب العلماء العباقرة كانوا على علم شامل يتصف بالموسوعية في مختلف ميادين العلوم والمعرفة، لكنهم لم تظهر عبقريتهم الا في مجال تخصصهم الذى كرسوا له كل موهبتهم وفقا لميولهم واستعدادهم، وهكذا نبغ «اينشتين» في الفيزياء على وجه الخصوص رغم المامه واهتمامه بسائر العلوم الأخرى وعلى رأسها الفلك والرياضة وغيرهما . ومايقال عن «اينشتين » يقال عن سائر العلماء والفلاسفة وأهل الفنون . فلابد إلى جانب الذكاء من الموهبة ، وغنى عن القول ان الموهبة « المتميزة » تختلف كثيرا عن المواهب العادية التى يملكها أهل الذكاء المتوسط أو غير العباقرة من أنصاف المواهب في شتى ميادين المعرفة والفن. يجب إذن أن نفرق بين موهبة عادية يملكها الجميع في ميدان من الميادين وتصاحبها درجة من درجات الذكاء قد تؤدى إلى تفوق صاحبها في مجاله، وبين « موهبة متميزة » مصحوبة بذكاء خارق وثقافة موسوعية تؤدى إلى إظهار العبقرية في مجال معين والنبوغ في ميادين مختلفة إلى جانب التخصص الأصلى .

التحليل

وهو خاصية من خصائص العقل اليقظ المتفوق، وأداة من أدوات الذهن المتوقد يستعين بها العبقري في سائر جوانب حياته الذهنية والعملية، وتستخدم هذه الأداة في حل المشكلات بأسرع مايكون وفقا للمنطق العقلي الخاص بالتحليل والذي يعنى بالأولويات والأصول والأسس دون الفروع أوالتفاصيل غير المهمة، وغالبا مايكون «الأهم» هو الهدف الذي يتوخاه العبقري في تحليله للموضوعات والمشاكل أيا كانت والمقصود بالأهم هو «الأصل» أو الجذر أو المبدأ الأساسي في الموضوع أو المشكلة .. على أن التحليل الصحيح لايبدأ من التسليم بأي معطيات (معلومات) خارجية مسبقة عن الموضوع المدروس، بل يبدأ بمناقشة هذه المعطيات وتحليلها ونقدها للتأكد من مدى صدقها أو بطلانها . يلي ذلك مرحلة أخرى لطرح الافتراضات البديلة للمعطيات التي تم نقدها ثم اختبار تلك المعطيات الجديدة للتأكد من صدقها أو بطلانها .. والغاية الأخيرة من التحليل هي حل المشكلات أو البحث عن الحقيقة .

قوة الإرادة

وهي صفة من صفات العبقرية تنطوي على عدّة صفات ضمنية منها : الإصرار والتحدي وعدم الخنوع أو اليأس والاهتمام الدائم بالهدف الأول والأخير الذي تضعه الشخصية العبقرية نصب عينيها ولاتغفل عنه لحظة

فحياة العبقرى سعى دائب ومتواصل لتحقيق هذا الهدف وهو « تحقيق الذات » العبقرية عبر اهتمامات العبقرية ذاتها ، سواء كانت هذه الاهتمامات يتضمنها العلوم الطبيعية أو الانسانية أو الفنون، والعبقرى في الغالب لايعترف بالطرق المتعارف عليها لتحقيق الذات أو الوصول إلى الأهداف وهو قبل ذلك لايعترف بالدلالات التى تحملها المعانى المتداولة بين العامة وقد يسخر من تلك المعانى القابلة لاكتساب دلالات ربما تكون غير مطابقة للمعنى الحامل لها، وهذا التناقض الذى يتبدى بعد ذلك في السلوك البشرى، لايكاد يلتفت إليه أو يهتم به سوى العباقرة. ومادام الهدف الأول والأخير هو « تحقيق الذات العبقرية » فالعبقرية لاتهتم بشيء آخر سوى هذا الهدف نفسه، إذ هذا الهدف نفسه هو ما يظل العبقرى مجتهدا لتحقيقه أثناء عمله طوال حياته، وخلال أى موضوع يهتم به، بصرف النظر عن النتائج الخارجية أو وجهة نظر الناس، مهما كانت سلبية أو إيجابية .

الإبداع والتجديد

وهما من أهم خصائص العبقرية الأصلية . إذ العبقرية الحقة هى التى تضيف إلى العالم كل جديد وتثريه وتضيف إلى غناه بوجودها الذاتى وإبداعها ، فوجود العبقرى في الحياة إضافة حقيقية للحياة ذاتها ، ووجوده مكسب للوجود الإنسانى . بل إن وجوده قيمة من أعظم القيم التى يجب أن تهتم بها الشعوب طالبة الحضارة والتقدم .

على ان الإبداع والتجديد يجدان دائما مصدرهما في الموقف الحاسم القاطع الذى تتخذه العبقرية من العالم، وهو موقف يضع العالم كله موضع الشك حينا، وموضع النقد حينا آخر . وهو موقف يؤكد استقلال الشخصية العبقرية في بناء عالمها الذاتي وأفكارها في شتي الميادين ، إذ هي شخصية لاتقبل من الأفكار المسبقة الا ماتم إخضاعه للنقد والتحليل وتم التأكد من صحته. ولولا هذا الموقف الحاسم الرافض لقبول كل ماهو «واقع مسبق» لما كان للإبداع العبقرى أى وجود في عالمنا، ولما كان القانون الذى يحكم «الواقع والحياة» هو قانون التغير والتجدد والتطور والنمو والإبداع. فالبحث ، إذ عن كل جديد هو أحد هموم العبقرية التي لايفتأ يحملها العبقرى ولايتنازل عنها الا بتحقيقها في الواقع، بالفعل عبر الإبداع والتجديد العبقرى الذى هو سر تميز وتفرد الشخصية العبقرية. بيد أن العبقري نفسه يدرك ان موت عبقريته يكمن في الركون أو التوقف عند نقطة إبداعية معينة يصلها في مرحلة من مراحل حياته اذا هو اكتفى بما توصل إليه من ابداع فعلي ولم يحاول تجاوزه بالنقد أوالاضافة ، لذا فإن « التوتر» من أهم خصائص « استمرارية الابداع» واستمرارية العبقرية الدائمة غير المؤقتة أو المحدودة. ويمكن أن ندرك أهمية «التوتر النفسي» عندما نعلم مدى احتياج الشخصية العبقرية «لحالة نفسية» مغايرة للحالة النفسية الاعتيادية السائدة في نمط الحياة القائم على عدد من الثوابت والمسلمات المتواضع عليها . فالحالة النفسية غير الاعتيادية، في ظل الذكاء والعبقرية، تبحث دائما عن قوانينها الذاتية. غير الاعتيادية ، بطرق غير تقليدية وتسمح للعقل بارتياد آفاق فكرية

ونفسية، مرتبطة بالحالة السيكلوجية، أي غير اعتيادية وفي مثل هذه الحالة يحل «الحدس» أو« الالهام» أو« الخيال » محل التفكير التقليدى السائد عند الناس في المجتمع العادى . وغنى عن القول ان الحدس والالهام والخيال من الوسائل التى يتمكن بها العبقرى من القفز قفزات هائلة في ميادين الإبداع لانجد لها مسمى آخر سوى « الطفرة» .

قوة الذاكرة

وهى أيضا من الخصائص اللازمة للعبقرية . إذ على العبقرى أن يكون ملما بالخبرات الأساسية في العلوم والمعارف السابقة عليه، وأن يتذكر تلك الخبرات حتى يتمكن من الربط بين حلقات تطورها من جانب، ثم يتمكن من تخيل التطور المتوقع في المستقبل لهذه الخبرات والمعارف ومن ثم يسهل عليه وضع فروض هذا التطور واختبار الفرضيات في مجال التخصص المعنى به.

على أن الذاكرة نفسها مشكلة من أهم المشاكل التى لاقاها علماء النفس وتوقفوا أمامها طويلاً خاصة عندما أرادوا تحديد المرحلة العمرية التى تضعف خلالها الذاكرة، وكان المتوقع . والمتفق عليه، هو أن ضعف الذاكرة يبدأ مع مرحلة الشيخوخة . إلا ان التجارب التى يؤيدها الواقع لاتساند هذا الاتفاق أو التوقع . فمن العباقرة من هم مثل « اديسون » كانوا في « الطفولة » ضعاف الذاكرة الى الحد الذى لايمكنهم من تذكر المعلومات الأساسية اللازمة للاستذكار العلمى في فترة الدراسة . ولذلك ترك اديسون الدراسة والمدرسة ولم يتعلم تعليما نظاميا (مدرسيا) الا لفترة لم تدم اكثر من ثلاثة أشهر . وقد وصفه أساتذته وأقرانه في الدراسة بالبلاهة الذهنية !!

واستمر ضعف الذاكرة في مراحل أخرى من حياة « أديسون » الا أن هذا الضعف كان قد انتقل لجوانب أخرى خاصة بالحياة الاجتماعية بينما ازدادت قوة الذاكرة لديه فيما يخص الأمور العلمية التى يقبل عليها بنهم مبالغ فيه وبجهوده الذاتية الخالصة .

إذن الذاكرة القوية قد لاتكون قوية في سائر المجالات، ومثلها الذاكرة الضعيفة . وليس ثمة مرحلة عمرية محددة يبدأ عندها أو معها ضعف الذاكرة، خاصة إذا مادرست الذاكرة عند العباقرة . أى إذا درسنا نوعا من الذاكرة غير الاعتيادية .

الانتباه الدائم

وهو أيضا من خصائص العبقرية . بل أهم العوامل الفارقة بين الشخصية العبقرية وبين الشخصيات الاعتيادية، الا ان (الانتباه) هنا ، أى في حالة العبقرية ، يرتبط اكثر بطبيعة التفكير . فهو خاصية متوافرة لدى العبقرى بالطبع وليس بالاكتساب .

ومن الواضح ان كافة العقول على اختلاف حظوظها من الذكاء على درجة أو درجات غير مستقرة من هذا الإنتباه المتقطع غير الدائم، الا ان الانتباه الدائم المستمر في حد ذاته. ظاهرة فريدة يندر وجودها الا في الشخص العبقرى وحده . فالاذهان الاعتيادية للبشر تعرض لها الأفكار في صور منفصلة لاتشكل سلسلة متصلة الحلقات، مترابطة ، لذا يظل بين الفكرة

والفكرة تلك الفجوة التي ينحدر فيها الذهن الاعتيادي إلى سفح التشتت وضعف التركيز . أما الذهن العبقرى فهو بطبيعة تفكيره يجد كافة الأفكار كما لو كانت سلسلة متصلة الحلقات، بينها روابط منطقية كثيرة، لذا فإن التشعب الفكرى هو وليد هذا التسلسل الفكرى المنطقى في الذهن العبقرى . وهذا التسلسل المتواجد دائما في الأفكار، أو بالأحرى في طبيعة تناول فكر العبقرى لها . هو الذى يجعل « الانتباه » مستمراً ودائما حتى في لحظات الشرود الذهنى .

العبقرى إذن إنسان يختلف عن البشر في الذهن من حيث هو قدرة وفعالية، ويختلف في استخدام تلك القدرة عن سائر البشر . وهو لذلك يختلف في حياته كلها تبعا لاختلاف نظرته للأمور واختلاف الوسائل التى يحقق بها أهدافه في الحياة. وإن كان العقل العبقرى لايفكر في مسائل وموضوعات غير اعتيادية ، بالنسبة للفلاسفة والعلماء وأهل الفنون ، فموضوعات العبقرى هى نفس الموضوعات التى يهتم بها العلماء والفلاسفة ، ولكن طريقة تناول تلك الموضوعات والتعامل معها هو الذى يفرق بين عبقرية وأخرى . اما الفرق بين العبقرى وغيره من البشر من حيث « الموضوعات» فهو اهتمام العبقرى بالموضوعات « الكلية – الشمولية » الخاصة بالفلسفة والفنون والعلوم في حين لايهتم الانسان العادى باكثر مما يموج في حياته اليومية من مشكلات تقليدية روتينية مبتذلة .

فالعبقرى إنسان يختلف في كل شيء عن سائر أقرانه في البيئة التى يعيش فيها .

هو « شخصية مستقلة » في كل شيء مختلفة في كل شيء في طريقة التفكير، وقدرة التفكير والذكاء ، ومن ثم في نمط الحياة نفسة . لانه يبدع حياته وفقا لأفكاره الخاصة المبتكرة التي تمليها عليه مواهبه .. فالعبقرى لايترك الأفكار السابقة على وجوده تقود حياته، إنما يخضع كافة الأفكار المسبقة النقد والفحص والتحليل ، ويتبنى وجهة نظر (فلسفة) في الحياة يعمل على صياغة حياته وفقا لها . وغالبا ما تتبنى تلك الفلسفة على «نظرة انفرادية » مستقلة أساسها وجوهرها تحقيق «التفرّد» والنجاح في الحياة[1] والعبقرى لذلك .. ثائر متمرد حتي على نفسه ، ولولا تلك الثورة لتجمد عند نقطة من نقاط التطور النفسي والذهني يرتضيها لنفسه ويعجب أو يقنع بها كما يفعل عامة الناس، إلا أن التمرد العبقرى يشمل كل شيء، وليس النفس وحدها . بل يشمل أيضا المجتمع ومايموج به من أفكار وأعمال مستقرة منذ آلاف السنين ولأن هذا التمرد يضع « الذات العبقرية » في تحدٍ سافر مع « الحشد » فإن الشخصية العبقرية – لابد وأن تتمتع كذلك بقدر وافر من الإصرار والصمود والتحدى والثقة بالنفس [2] .

---

(١) الشخصية الناجحة - المؤلف . المركز العربي للنشر .

(٢) أشهر العباقرة في التاريخ . المؤلف . المركز العربي للنشر

الفصل الثانى
معنى العبقرية

**** التفسير السيكلوجى :**

يأتى التفسير السيكلوجى في مقدمة التفاسير الموضوعية العلمية للعبقرية

في هذا التفسير تعتبر العبقرية ظاهرة إنسانية بحتة حاول علماء النفس البحث عن الأسباب المباشرة لها والتى لاترتبطها بأى أسباب خارجية – ميتافيزيقية .

ومن أشهر علماء النفس الذين تناولوا ظاهرة العبقرية « لويس ترومان»يليه« فرانسيس جولتون» ثم «هولنجورث»ومن بعده « سيزار لومبروزو» و« كرتشمر » أما خلاصة أبحاث هؤلاء العلماء فيمكن تحديدها في بعض النقاط والتى تفيد معنى العبقرية من جهة وتدل على الروابط بين العبقرية والجنون من جهة أخرى، وفي البداية يطالعنا رأى «ترومان» في ماهية العبقرية حيث يحددها بأنها: « قدرة ذهنية عليا يمكن الوقوف عليها في ضوء اختبار ذكاء مقنن، حدد له معدل قدره (١٤٠) فما فوق للشخص الذى يمكن أن يكون عبقريا»[1] وهو مستوى – من الذكاء – يصل إليه حوالى شخص واحد

---

(١) العبقرية والجنون يوسف ميخائيل ، ص ٢٢ ، دار غريب .

من كل ٢٥٠ شخصا من مجموع الناس . ومع ذلك اقترح عالم نفسي آخر هو «هولنجورث» أن يكون هذا المعدل (١٨٠) فما فوق، وهو مستوى لايصل إليه من الناس سوى ستة أشخاص من كل مليون شخص .

والى جانب « ترومان وهولنجورث» يأتي رأى « جالتون» الذى ينظر الى العبقرية باعتبارها قدرة إبداعية ذات مستوى عال بشكل غير مألوف عما هو ممارس في المنجزات اليومية[1] أي انها ليست مجرد قدرة ذهنية يمكن قياسها وفقا لمقياس معدل الذكاء المتفق عليه بين علماء النفس .

وهناك آراء أخرى – مغايرة – وان كانت في اطار التفسير السيكلوجي ، الا انها تتجاوز تعريف العبقرية باعتبارها قدرة ذهنية أو قدرة إبداعية . وفي هذا المضمار نشير الى رأى « سيزار لومبروزو» الذى يرى ان العبقرى ينتمي الى نوع « سيكوبيولوجى» معين (مختلف) عن النوع البشرى بل يختلف تماماً عن الشخص العادى من حيث عملياته العقلية والانفعالية .

ويعتبر تفسير «لومبروزو» هو التفسير الطبيعي لكافة التفسيرات – التالية – التى ربطت بين العبقرية من جهة وبين المرض النفسي من جهة أخرى ، اما الذين يرون أن الصلة بين المرض النفسي والعبقرية – صلة قائمة ولاشك فيها فيأتي في مقدمتهم «كرتشمر» ويليه « مودى دى تور» ثم « لانج إيكباوم» و« هرزبرج» ويوافقهم في هذا التفسير عدد من الشعراء العظماء في مقدمتهم الشاعر الالمانى « جيته» والشاعر الأشهر «لامارتين» .

في البداية حاول «كرتشمر» ان يعقد المقارنة بين نماذج من العباقرة من جهة وبين نماذج من «أشباه القصاميين» من جهة أخرى، أما الاسباب

---

(١) نفس المصدر السابق .

الموضوعية التى تبرر أهمية وضرورة مثل هذه المقارنة فيمكن ان نجدها في التشابه الرهيب بين العبقرى وبين أشباه الفصاميين وخاصة فيما يلى .

- الانصراف شبه الكامل عن الواقع .
- الاستغراق في التهويم واحلام اليقظة، خاصة التى تشكل الرغبة الشبقية محورها .
- عدم الرضا عن الواقع .
- الفشل في الحياة الزوجية .
- صعوبة التكسب من العمل . رغم النجاح فيه .
- الافتقار الدائم للضبط الذاتى .

وعلى كل حال فإن المقارنة التى عقدها «كرتشمر» بين العباقرة وأشباه الفصاميين تجد لها ما يؤيدها ويساندها بالرأى خاصة « يونج» ثم «فرويد» وهما معا يؤيدان رأى « كرتشمر » في تفسيره للعبقرية واعتبار المرض النفسى سببًا مباشرًا لها .

وقد قام «جولتون» بدراسة عدد من نماذج العباقرة في كتابه الشهير « العبقرية الموروثة» وأكدت معظم دراساته لتلك النماذج ان الاسباب المباشرة لظاهرة العبقرية، هى أسباب سيكلوجية بالدرجة الأولى، وكذلك يرى « لانج إيكباوم » .

«إن ٣٠ ٪ من العباقرة إن لم يكونوا ذهانيين، أى مجانين ، فهم على الأقل سيكوباتيون، وإن هناك ٦٪ فقط من العباقرة أصحاء(*) وهو يذكر من

(*) . المصدر السابق : ص ٨٠

الامثلة : بودلير المصاب بالشلل الجنونى ، ونيوتن المصاب بالفصام وغيرهما من العباقرة .

وبناء على ذلك يمكن ان نضيف الى السمات السالفة التى عرضناها اثناء الحديث عن الصلة بين العباقرة وأشباه الفصاميين بعض سمات أخرى رئيسية تتضح بها الصورة الكاملة «للشخصية السيكوباتية» وأهم تلك السمات:

– الشعور بالنقص

– انعدام التوافق النفسى بين الذات والعالم .

– تزايد قوة الحياة الانفعالية والاستجابة الأقوى للمثيرات البسيطة .

ومن المعروف لدى علماء النفس ان هذه السمات هى التى تدفع بالشخصية العبقرية أو السيكوباتية، على السواء ، الى : بناء عالم خيالى تتعايش معه ليحل محل العالم الواقعى ، المرفوض، وهنا تلعب الاحلام دورا على قدر عظيم من الاهمية كما لايقل دور « الإبداع» الفلسفى – خصوصا – أهمية ، عن أهمية الأحلام ، لأن الابداع الفلسفى لايبحث فيما هو كائن بالفعل في الواقع، وانما غاية الفلسفة عن كل ابحاثها هو البحث فيما ينبغى ان يكون، لذا فهى تقدم « الدليل» الذى يرتضيه العبقرى أو حتى السيكوباتى فكل من العبقرى أو السيكوباتى يستبدل العالم الواقعى الذى لايتوافق معه بحياة أخرى تتفاوت خصوبتها الخيالية بتفاوت القدرة الابداعية وقوة الخيال من شخصية عبقرية الى أخرى او من شخصية سيكوباتية الى اخرى .

التفسير الفسيولوجى

العبقرية .. قوة نقيضة للقوة العضلية

انها بكل تأكيد قوة عقلية نفسانية تشمل جماع العقل والشخصية ومواهبهما لكن علينا ان نتذكر دائما ان القوة العقلية مصدرها « الجسم» البيولوجى ، فهل من صلة بين العبقرية والجسم؟ بعبارة أخرى هل تؤثر السمات الجسمية في العبقرية .. والى أى مدى يبلغ هذا الأثر ؟

من بين الذين يهتمون بالبحث في العبقرية - بعد أنصار التفسير السيكلوجى - يبرز أنصار التفسير الفسيولوجى الذى يعزو الكثير من سمات وخصائص العبقرية الى السمات الفسيولوجية والجسمية، الأمر الذى يجذب انتباهنا - بعد ذلك - إلى صلة العبقرية بالوراثة .

من أهم الملاحظات التى توصل اليها علماء الفسيولوجيا في مضمار البحث عن العلاقة بين « سمات الشخصية »وخاصة سمات الشخصية العبقرية من جهة، وبين السمات الجسمية ، يمكننا أن نرصد مجموعة الملاحظات الرئيسية التالية :

- هناك علاقه وثيقة بين النحافة ومايصاحبها من « مزاج سوداوى » وبين العبقرية .

- هناك علاقة وثيقة بين شكل وحجم الجمجمة وبين العبقرية .

- هناك علاقة أوثق بين الأمراض والعاهات البدنية وبين العبقرية .

وغالبا ماتتكاتف هذه العوامل بداية من النحافة والمزاج السوداوى ومرورا

بحجم الجمجمة واخيرا «الامراض البدنية» في تكوين الملامح العامة للشخصية العبقرية. مثلا يتدخل المزاج السوداوى في تحديد النمط النفسى المائل الى الانطواء والعزلة وكثرة التأمل والنشاط الذهني الفائق. فكلما انسلخ العبقرى عن تيار الحياةاليومية الروتينية كان أقرب الى نفسه وعالمه الذى يموج بالأفكار والرؤى ، وليس يخفى علينا ان الاستغراق الكامل في «الروتين المبتذل» للحياة اليومية يحد من « القدرة العبقرية» لان العبقرية ذاتها « ثورة إبداعية» أى أنها علي النقيض تماما من «الاستسلام» لتيار الحياة اليومية وأسسها الثابتة .

كذلك يتدخل «حجم المخ» وكبر مساحة الدماغ الذى يعنى عدداً أوفر من خلايا المخ، أى نشاط ذهني فائق. فمن المتعارف عليه انه كلما كثرت تلافيف المخ، كثر عدد الخلايا المخية، وكلما كثر عدد تلك الخلايا تزايد النشاط العقلى وتزايدت قوى الدماغ .

واخيرا دور الأمراض والعلل الجسمية أو العاهات البدنية . فمن الملاحظ ، كذلك ، ان اكثر العباقرة كانوا من المرضى أو أصحاب العاهات البدنية والعلل الجسمية فهذا ديكارت الفيلسوف الفرنسي الشهير الذى لم يكن يكاد يشفى من الالتهاب الرئوى المزمن حتى يعاوده المرض مرة تلو الأخرى، وهذا بيتهوفن الذى خلدته أروع سيمفونياته وهى السيمفونيات التى تم تاليفها وهو أصم وغير قادر على سماع أعلى الأصوات . وهذا بارون الذى لم يشف من الشلل وظل « العرج» ملازما له طيلة حياته يشوه جمال جسده ، وهذا «نيتشة» الذى قضى السنوات الأخيرة من عمره في منتجع صحى للأمراض العقلية

وأغلب الظن ان هذه الامراض تقوم بدور الحافز الاقوى للتحدى الذى يلقى فيه العبقرى بكل كيانه مغامرا بكل شيء من أجل كل شيء وفي صميم نفسه لايتردد سوى صوت الإرادة العبقرية : سأنتصر .. وأتحدى !

لكن في أى معركه ينتصر العباقرة ؟ وما الذى يتحداه العبقرى ؟

غالبا لايتهم العباقرة بالمعارك التافهة الصغيرة المرتبطة بالمصالح الفردية للحياة اليومية الفقيرة، إن المعارك التى يهتم لها العباقرة أضخم بكثير من الاهتمامات اليومية لرجل الشارع العادى لكن أهم تلك المعارك في نظر العبقرى .. « معركة الحياة» ذاتها .

من البديهي ان تختلف نظرة العبقرى للحياة عن نظرة الانسان العادي، ويترتب هذا الاختلاف – بالطبع– على مفهوم الحياة ذاتها واختلاف هذا المفهوم عند كل منهما، فالرجل العادى يأتى الى الدنيا فيرث والديه بيولوجيا وثقافيا، الأمر الذى يحدد له « نسق شخصيته» بشكل مسبق، أو على الأقل جانبا منها. أما العبقرى فيرث والديه بيولوجيا فقط، بينما يضع كافة الانساق الثقافية والمعرفية موضع البحث والتمحيص بحيث لايسمح لأي عناصر ثقافية بالمشاركة في تكوين شخصيته وتوجيه مسار حياته الا بعد اختبارها والايمان بها عقليا .

والعبقرى ايضا يتحدى «نفسه» ولايقف تحديه عن حدود المجتمع وأفكاره السائدة. فعندما يصاب رجل مثل «لويس باستور» بالشلل النصفى وهو في السادسة والأربعين من عمره فهو بكل تأكيد لن يقضي البقية الباقية من حياته في خمول أو استسلام للمرض، بل العكس من ذلك هو المتوقع، وهو

ماحدث فعلاً إذ قضى «لويس باستور» السنوات السبع والعشرين التالية لإصابته بالمرض باحثا ومجربا حتى تمكن من وضع نظرياته الخاصة بالعدوى الميكروبية التى كان لها بالغ الأثر فيما بعد .

إذن فاعتلال الجسم يدفع العبقرى الى التمرد على المرض وتحديه، وقد يكون المرض نفسه هو أحد بواعث عبقريته ، ذلك لأن الخلل في الجسم لايكون خللا شاملا وانما يختص بجزء واحد من اعضاء البدن، بينما تنشط سائر الاعضاء الأخرى لتعويض خلل هذا الجزء .

على ان الدراسات الفسيولوجية تؤكد أننا نرث أجسامنا وغددنا فقط، وقد نرث الذكاء أيضا، والذكاء جزء من العبقرية، لكنه ليس كل العبقرية، فالعبقرية تتجلى في السلوك العبقرى، ونحن لانرث السلوك مع الوراثة البيولوجية، صحيح أن أجسامنا وغددنا قد تهيىء لنا المناخ النفسى الذى يترجم بعد ذلك الى سلوكيات لكن يظل هذا السلوك قبل تحوله من القوة الى الفعل مجرد (قوة نفسية) تتحدد طبيعتها بالسلب أو الإيجاب وفقا لعوامل غير بيولوجية أو سيكلوجية . إنها على وجه الدقة عوامل اجتماعية .

لكن أنصار التفسير الفسيولوجى للعبقرية يصرون على أهمية دور الجسم ووظائف الغدد وإفرازاتها في تكوين السمات العامة للشخصية، وهم يؤمنون لذلك ، أو يؤيدون إصرارهم بالأحرى، بأن النشاط العقلى أو النفسى ينبعث من الجسم، أو هو نتيجة لوظائف الجسم، ويلحون من جهة أخرى على دور الوراثة في توريث بعض الامكانيات والاستعدادات الجسمية التى تتدخل فيما بعد في صياغة النشاط العقلى والنفسى .

العبقرية إذن في ضوء هذا التفسير ظاهرة تنتج عن أسباب فسيولوجية وراثية ولا دخل للبيئة فيها وهذا اعتقاد متهافت، ومن الملاحظ انه سواء في التفسير السيكلوجي أوالتفسير الفسيولوجي تعزى العبقرية الى عوامل وأسباب إنسانية مباشرة تكون نفسية في الحاله الأولى . بينما تكون جسمية في الحالة الثانية، ومعنى ذلك ان علماء النفس وعلماء الفسيولوجيا لا يربطون بين العبقرية باعتبارها ظاهرة إنسانية وبين أى عوامل خارجية بيئية .

نقد التفسير الفسيولوجى :

ليس من الصعب بيان تهافت أنصار التفسير الفسيولوجى للعبقرية . خاصة في نفيهم « أن يكون للبيئة أى دور في إظهار العبقرية .

ونحن أولاً : لا نعترض على دور وظائف الأعضاء، والغدد وإفرازاتها، أو دور الوراثة وماتورثه من امكانيات واستعدادات فطرية للعبقرية، لكن إلى جانب هذا لايمكننا أن نتجاهل دور البيئة والوسط الاجتماعى الذى ينشأ به العبقرى في تحديد مسار ومصير العبقرية ذاتها . فالاستعدادات الموروثة مجرد «قوى » لم تتحدد طبيعتها الايجابية او السلبية بعد ، بل ان هذه الطبيعة لاتكتسب صفة السلبية أو الايجابية الا عندما تتبلور في سلوك يمكن الحكم عليه . والسلوك لابد له من وسط أو بيئة، فالبيئة هى التى تحدد أنماط وطبيعة سلوكنا بمعنى انه إذا صلحت بيئة الانسان صلح سلوكه وقلت الانحرافات والأمراض الاجتماعية لأن الأمراض النفسية كما قال أحد الكتاب هى في الأصل، أمراض اجتماعية. أو هى على أقل تقدير أمراض ذات أصول اجتماعية .

معنى ذلك ان العباقرة لايولدون عباقرة ، وان الذين ولدوا لديهم ميول للإجرام، لايعدون بالفعل في زمرة المجرمين. كما لايصير العباقرة في زمرة العباقرة الا بعد تحول ميولهم الى سلوكيات تحدد مسارها وطبيعتها من حيث السلب أو الايجاب بيئة صالحة أو بيئة سيئة .

وفي هذا الصدد يقول سلامة موسى في كتابه « دراسات سيكلوجية ؟

« إذا كانت العبقرية تورث فإننا يجب أن نسلم أيضا بأن الذكاء يورث، وبأن هناك شعوباً تمتاز بالذكاء وأخرى لاتمتاز به، وعلى هذا الأساس يجب أن نبرر الاستعمار، إذ هو في منطق دعاة الوراثة . حكم أمة تمتاز بالذكاء لأمة لاتمتاز به . وللأولى إذن حق إستغلال الثانية بحكم ماتمتاز به ؟

وإذا كانت اسرة تمتاز بالذكاء وأخرى لاتمتاز به فمن حق الأولى أن تستغل الثانية (وينسحب هذا الحكم على الطبقات بعد الأمم والأسر)، إذن عندنا مايبرر الاستعمار ثم الاستغلال، ثم هناك بيض وسود، فالبيض اذكياء والسود مغفلون . إذن لايجوز لأحد أن يقول بالمساواة بين الاثنين، هذا حكم الوراثة .

وأنا أسلم بأن فرداً قد يمتاز عن آخر بمقدار من الذكاء الموروث، ولكن هذا المقدار ليس علة العبقرية من طرف أو علة الغفلة من طرف آخر وانما السبب الأساسي ، بل الوحيد، للذكاء الخارق، والطيبة المفرطة، وللاختراع والاكتشاف ، هو الوسط وليس الوراثة » .

والعبقرية قد تكون سلبية وقد تكون إيجابية ، والذي يحدد طبيعتها كما قلنا هو الوسط . وفي هذا الصدد يستطرد سلامة موسى قائلاً : « تفوق الجرمان بالوراثة على سائر الشعوب الأخرى . هو هراء ضخم ، ومثل هذا الهراء الضخم مانسمعه عن تفوق الرجل على المرأة في الذكاء. وقد يضحك القارىء عندما يعرف أن بعض البراهين على هذا التفوق أن الرجل يخترع

والبطاطس وتمسح البيت كل يوم وتغسل الأطفال كل ساعة، هل هذه الأعمال تبعث على الاختراع والاكتشاف ؟

إن الرجل يكتشف ويخترع لأنه يحيا في بيئة (وسط) الصناعة والتجارة والعلم والفن والهندسة والطب فالمجال أى الوسط ، يبعث على الاختراع والاكتشاف . بل الوسط يغير الطبيعة الموروثة. وهناك أوساط بشرية تعمل للتجمد الذهني . كالوسط الزراعي مثلا. فإن ميدان الاكتشاف والاختراع بل ميدان التفكير فيه يكاد يكون معدوما، ولذلك تجد التسليم التام يحل محل التساؤل الدائم والبحث عن اسباب الحوادث والظواهر. وهذا الموقف، أى موقف التسليم ، لايدعو الى البحث، أى لايدعو الى الاكتشاف .

لكن ساكن المدينة يتذكى ويسأل ويستفهم ولايسلم للقدر. الوسط الزراعى أوجد النظام الاقطاعى الجامد، والتسليم المطلق للقدر، وكراهة التطور أو التغير، واحترام التقاليد، وسائر المجموعة من الأخلاق الاقطاعية التى لايزالُ اكثرها، بحكم الوسط الزراعى، فاشيا في بلادنا .

ولكن الوسط المدنى ، وسط المدينة والمصنع والمتجر والجريدة اليومية والمناظر السينمائية والكتب ونحوها، هذا الوسط يجعل ساكن المدينة أذكى من ساكن الريف. أو بالأحرى زاد ذكاؤه حدة ويقظة في حين جعل الوسط الزراعى ذكاء الفلاح في نوم وغفلة » .

إذن فأهم مايؤخذ على التفسير الفسيولوجى لظاهرة العبقرية هو انه تفسير تبريرى، يبرر الاستعمار والعنصرية اكثر مما يفسر العبقرية، والمفترض في النظريات العلمية لكي يؤخذ بها علميا أن يتوافر لها الحياد

والموضـوعيـة فالموضـوعيـة تناقض التبريرية، والحياد يتناقض مع النزوع العنصرى الاستعمارى الذى دافع عنه أنصار التفسير الفسيولوجى. ناهيك عن عدم كفاية هذا التفسير نفسه لشرح ظاهرة العبقرية وتحديد سببها الوحيد الأصيل. وإذا كان التفسير الفسيولوجى يعتمد اعتمادا كليا على الوراثة ، فإن العبقرية لاتورث بشهادة الواقع والتاريخ .إذ لاينجب العباقرة عباقرة .

أضف إلى ذلك ان العبقرى يحتاج الى خبرات كثيرة تؤكد دور البيئة من جهة، ودور التربية من جهة أخرى ، وليس من الممكن القطع بأن العباقرة يمكن أن تظهر عبقريتهم الموروثة حتى إذا عزلوا تماما عن البيئة أو حتى إذا تركوا لشأنهم دون تربية أو توجيه .

التفسير الاجتماعى

يرتكز التفسير الاجتماعى لظاهرة العبقرية على إحدى الظواهر الاجتماعية المعروفة والتى تجسدها الحياة الاجتماعية للشخصية العبقرية ونعنى بها ظاهرة « سوء التكيف الاجتماعى » .

فمن الشواهد التى دلت عليها دراسة الحياة الاجتماعية لكثير من العباقرة نجد أن « سوء التكيف» على قمة الشواهد التى تم استنتاجها وتفسيرها بالمرض النفسى . إذ يعنى سوء التكيف أن ثمة اختلالا يحكم علاقة الانسان بالمجتمع قد بدأ يسيطر على السلوك الاجتماعى .

أما السبب الذى دعا أنصار « التفسير الإجتماعى» لظاهرة العبقرية الى القول بأن «سوء التكيف» هو علة العبقرية، أو هو على الأقل إحدى عللها . خاصة إذا أضيفت له النتائج المترتبة عليه نفسيا، ما يلى :

** إن الصراع النفسى الدائم الذى يسود حياة العباقرة قد يكون سببه الرئيسى « عدم التكيف الاجتماعى» وان هذا الصراع النفسى – الاجتماعى هو أحد أسباب العبقرية .

** ينشأ الصراع النفسى الذى يفسر سوء التكيف، أو العكس ، بسبب الاختلاف الجذرى بين :

أ – أهداف العبقرى .. وأهداف المجتمع الرئيسية .

ب – نمط حياة العبقرى .. ونمط حياة المجتمع العامة .

جـ – نسق أفكار العبقرى وتصوره للعالم .. ونسق أفكار المجتمع وتصوره للعالـــم .

ويزيد هذا الصراع القائم على الاختلاف والتناقض الجذرى من تأجج شعلة العبقرية وحفزها على الإبداع والتفوق الذى يجسد في النهاية انتصار العبقرى ويتوج تحديه للمجتمع .

** إن المرض النفسى المقترن بظاهرة العبقرية يدفع بالحياة الوجدانية للشخصية العبقرية الى درجة مرهفة من الحساسية الشديدة، قد تصل الى حد التطرف الوجداني ، وهذه الحساسية المرهفة لاتتوافق بالطبع مع الروتين

اليومي للحياة المبتذلة بكل علاقاتها وثوابتها، سواء ماكان معنويا منها أو ماديا . لذا فإن « سوء التوافق» أو « سوء التكيف » مع الواقع والمجتمع يكون أوضح مايكون عليه كلما زادت شدة الحساسية. الأمر الذي يدفع بالعبقري الى العزلة والبعد عن المجتمع وعلاقاته وأفراده .

** إن « سوء التكيف » لدى العباقرة ظاهرة لاترتبط بالمدى أو المرحلة المتقدمة من العمر، بل على العكس من ذلك، أي أنه يمكن رصد ظاهرة « سوء التكيف الاجتماعي » في حياة العبقري منذ مرحلة الطفولة . وتتجلى شواهدها في سلوكيات كثيرة، منها مايتعلق بالحياة الأسرية، ومنها ما يتعلق بالحياة المدرسية، وفي كافة الحالات يكون « النقد » هو الجوهر الاساسي الذي يحكم السلوك الدال على عدم التكيف . فكثيرا مايوجه الطفل العبقري النقد الصريح المباشر لوالديه وأقرانه واساتذته مما يسبب لهم الحرج الشديد والتبرم والاستنكار.

وقد يتخذ السلوك الدال على عدم التكيف مظهرا آخر « سلبيا » كعدم الاكتراث بالواجبات المدرسية، أو الفشل في مادة علمية معينة ، لكن سرعان مايظهر الطفل تفوقا في نفس المادة إذا تبدل نظام التعليم ، أو إذا ترك الطفل المدرسة النظامية إلى مدرسة حرة. ويعني ذلك ان الفشل أو عدم إحراز التفوق العلمي في إحدى المواد لايعني أن الطفل لايملك مؤهلات النجاح الذهنية. بل يعني أن الفشل أو التأخر الدراسي لم يكن سوى مجرد صورة من صور الاحتجاج الذهني - النفسي على أسلوب المعلم، أو المنهج التعليمي . فالطفل الموهوب لايكتفي بمجرد النقد، بل يتجاوز النقد كموقف

ذهني – فكرى الى محاولة التغيير العملي للظروف المحيطة به سواء كانت في نطاق الأسرة أو في نطاق المدرسة. وهو إذا لم يستطع التغيير الفعلي يكتفي بالإحتجاج السلبي متمثلا في الامتناع عن أداء العمل المطلوب منه حتى إذا تطلب الأمر اختلاف الوسائل التي تبرر هذا الامتناع بشكل نفسي – لاشعوري .

ويبقى أن نقول :

إن السبب الرئيسي لسوء التكيف الإجتماعي لدى العبقري يكمن في الشخصية العبقرية ذاتها كنسق نفسي مغاير لأقرانه في المجتمع والأسرة والمدرسة. فالعبقري يشعر حتما بهذا الاختلاف ، بل يشعر ان اختلافه عن سائر أقرانه ليس مجرد اختلاف بسيط. بل هو اختلاف جذري وشامل، ونفس هذا الشعور بالاختلاف يتضمن الشعور بالتفوق والتميز .

لكن غالبا مالا يكتفي العبقري بغبطته الذاتية بهذا الشعور، إن السعادة الاشمل التي يطلبها العبقري تكمن في إعتراف الآخرين بتفوقه ونبوغه وعبقريته . لذا فهو لايتورع عن الإمعان في التميز والتفوق حتى يتمكن من الحصول على اعتراف الجميع بعبقريته . لكن غالبا ماتواجه جهود العبقري بالدهشة أو الإنكار أو الاتهام بالإغراب والشذوذ أو حتى الجنون .

والعبقري لايستسلم لهذا الموقف الاجتماعي العدائي ، بل يتخذه ركيزة للتحدي والإمعان في التصميم على الانتصار لفكره وشخصيته لكن موقف التحدي للمجتمع قد يكلف العبقري كثيراً ، ومع ذلك دائما مايكون العبقري على استعداد لدفع الثمن، ثمن عبقريته وحريته في آن واحد معا .

والأمثلة التى أنكرت فيها المجتمعات جهود العباقرة، أو تجاهلت عبقريتهم، كثيرة منها مثلاً «شوبنهور» الملقب بفيلسوف الألم، فقد تأخر الاعتراف العالمى بعبقريته حتى مابعد سنة «١٨٤٨» رغم انه ظل مواظبا على نشر مؤلفاته الفلسفية العظيمة من قبل عام «١٨١٩» ولم يمنع هذا الجحود والإهمال الاجتماعى شوبنهور من الاستمرار في نشر أعماله ولم يفت من قوته وتصميمه على الانتصار، لقد كان مؤمنا انه على حق والجميع على خطأ، ولم يشك لحظة في عبقريته أو في قدرته على الانتصار – لذا ظل يعمل واثقا من مجيء اللحظة التى سيعترف فيها العالم كله بعبقريته .

وعلى العكس من «شوبنهور» كان الفيلسوف « جوردانو برونو» – (١٥٤٨ – ١٦٠٠) مثالاً فذا للاستشهاد في سبيل العبقرية، كان موته إدانة دامغة لعصره والعقل السائد فيه . لقد تمسك «برونو» بأفكاره التى كانت بمثابة الصدمة لكل أفكار عصره الموروثة، ومن الثابت أنها كانت تمثل قوة هادمة لكل الثوابت الفكرية الموروثة في هذا العصر. ونادراً مايسمح العقل الجمعى لذهن العبقرى أن يهدم الأسس والثوابت الفكرية التى قامت عليها المجتمعات واستقرت النفوس . لذا فمن المؤكد أن يكون الصراع بين العبقرى والمجتمع على أشده خاصة إذا كانت عبقرية العبقرية تتجلى في الميدان الفكرى وتهدف الى زعزعة أسس الأفكار الثابتة القديمة، وهنا يتوقع العبقرى كل شيء بداية من التجاهل ومروراً بالإنكار والاتهام بالجنون .

فاذا لم يتراجع العبقرى عن أفكاره – كما فعل جاليليو – واستمسك بها رغم أنف الجميع، وهو مافعله «برونو» كان عليه أن يتوقع من المجتمع ماهو

فاذا لم يتراجع العبقرى عن أفكاره – كما فعل جاليليو – واستمسك بها رغم أنف الجميع، وهو مافعله «برونو» كان عليه أن يتوقع من المجتمع ماهو أسوأ وأعظم من التجاهل والانكار والاتهام بالجنون. كان عليه أن يتوقع الموت. وبالفعل قتل « برونو» بسبب تمسكه بأفكاره فضرب لنا مثلا عظيما على التصميم وقوة الإرادة العبقرية، لقد نسى العالم كله قتلة « برونو» وأدانهم بارتكاب ابشع جريمة في حق العبقرية والفكر.. أما «برونو» فخالد إلى الأبد بين العباقرة المخلدين في ذاكرة التاريخ البشرى .

وهكذا قد يصل الصدام بين العبقرى والمجتمع إلى أقصى منتهاه . والعبقرى لايتوانى عن دفع هذا الصراع الى أقصى مايمكن أن يصل إليه ، إنها معركة بين الشخصية العبقرية المتفردة وتصورها للعالم . وبين الشخصية الجمعية الممسوخة الملامح وتصورها عن الكون والوجود – والعبقرى لا يشك لحظة في قدرته على كسب هذه المعركة. لأن انتصار العبقرية هو انتصار الحياة في تحقيق غايتها ، وغاية الحياة هى تطوير قدراتها إلى أقصى حد ممكن ليظهر مواهبها وعبقريتها .

أما وقد ظهرت وتجلت عبقرية الحياة في صورة الشخص العبقرى فما من قوة على وجه الأرض تستطيع بعد ذلك أن تحجب شمس هذه العبقرية، أو تجعلها تتنازل عن مواهبها التى تميزها لتعود فتنضم الى صفوف الجموع العمياء التى لايمكنها الارتفاع فوق المعايير القائمة التقليدية ، والتى لايمكنها التحرر من الثوابت القديمة. أو إبداع القيم والأفكار الجديدة . تتمسك

العبقرية بهويتها الى آخر المدى حتى لو كان الثمن هو تضحية الحياة بذاتها، عندئذ يموت العبقرى راضيا مبتسما لأن الجموع لم تستطع تحمل وجوده أو مواجهة عبقريته بنفس سلاحه .. سلاح النقد . أداة العقل العبقرى . ويموت العبقرى على هذا النحو .. تنتصر العبقرية.

نقد التفسير الإجتماعى :

صحيح أننا نرفض الأخذ بالتفسير الفسيولوجي باعتباره التفسير الأوحد لظاهرة العبقرية .

وصحيح أننا نؤكد التفسير السيكلوجي ونؤازره بالتفسير الاجتماعى مع التأكيد على أهمية دور التربية. ومع ذلك فإن التربية وحدها لاتكفي لتفسير ظاهرة العبقرية ، والبيئة مثلها . لايمكن الاعتماد عليها في تفسير ظاهرة العبقرية اعتمادا مطلقا .

والحق أن العوامل التى تدخل في تكوين وإظهار العبقرية عوامل كثيرة ومتداخلة بحيث يؤدى إهمالها . أو مجرد إهمال أحدها إلى خلل واضح أو نقص فادح في أي تفسير يتوخى الشمولية والموضوعية في الاحاطة بظاهرة العبقرية .

لذا يجب ان نؤكد دور جميع العوامل : السيكلوجية ، والفسيولوجية ، والاجتماعية في تفسير العبقرية . وذلك دون الاهتمام بعامل أوحد على حساب العوامل الأخرى . ويتضح ذلك إذا حاولنا تفسير العبقرية اجتماعياً فقط . إذ

أولا . من الملاحظ انه لايمكن تنشئة أجيال كاملة من العباقرة بمجرد الاعتماد على التربية والتعليم فحسب . إذ تقتصر مهمة التعليم والتربية على تهيئة المناخ الملائم لظهور العبقرية ونموها ومعنى ذلك أنه يجب أن يتوفر استعداد النبوغ والعبقرية حتى قبل توفير المناخ اللازم لتنمية هذا الاستعداد الفطرى ، ويشير لفظ الاستعداد الفطرى الى دور العامل السيكلوجي والعوامل الأخرى .

ثانيا : هناك عباقرة نشأوا بالفعل خارج المدارس النظامية، بل ونشأوا في بيئات من الجهل والفقر، بمعنى انه لم تتوفر لهم الرعاية أو التربية أو التوجيه العلمى السليم ولم يحصلوا على الدرجات العلمية التى يحصل عليها أقرانهم ممن توفرت لهم كامل الرعاية والتربية والتعليم، بل إن الذين نالوا الرعاية والتعليم والتربية السليمة لم يحققوا من العبقرية والنبوغ مثل الذين حرموا فرص الرعاية والتعليم .

ثالثا : هناك عباقرة نالوا من التعليم النظامى أعظم القسط، وكان من المفترض أن ينقى هذا التعليم نفسياتهم ويقيهم الأمراض النفسية ماداموا قد نشأوا نشأة صحيحة في بيئة علمية تربوية صالحة، لكن العكس هو ماحدث أي أن الامراض النفسية الشهيرة في الشخصيات العبقرية ظلت ملازمة لهؤلاء العباقرة خاصة أولئك العباقرة الذين نشأوا وبأجسادهم بعض الأمراض البدنية أو العاهات النفسية التى كانت السبب في إظهار تفوقهم ونبوغهم، مما يعنى أن البيئة أو

التعليم أو التربية، كلا على حدة، لايمكن الاعتماد عليها في تفسير أو تكوين واكتساب العبقرية دون إغفال العوامل الأخرى .

رابعا : هناك عباقرة لم تظهر عبقريتهم الا بعد تركهم التعليم النظامي – مثل « أديسون » .

بل كان أساتذتهم يحكمون عليهم بالفشل والغباء لعدم تفوقهم الدراسى أو لعدم اهتمامهم بواجبهم المدرسي. ويدل ذلك إما على عدم مواءمة النظام التعليمي والتربوى للشخصية العبقرية الأمر الذى لايحقق لها الاشباع الذهنى الكامل أو على تأخر ظهور العامل الوراثي للعبقرية الى مرحلة ما بعد ترك النظام التعليمى وفي كل الأحوال تشير هذه الحالات العبقرية إلى ضرورة تفسير ظاهرة العبقرية نفسها بمختلف العوامل التى تشارك في تكوين واظهار العبقرية دون الاعتماد على عامل دون سائر العوامل الأخرى .

الفصل الثالث

الإلهام والعبقرية

رأينا أن النظريات التى حاولت تفسير « ظاهرة العبقرية » كثيرة .

وأشهر هذه النظريات وأقدمها على الإطلاق « نظرية الإلهام » وهى على النقيض من سائر النظريات السابقة أى أنها لاتعزى العبقرية إلى أسباب مباشرة خاصة بالانسان ، سواء كانت تلك الأسباب نفسية أو فسيولوجية أو اجتماعية وانما هي تعزى العبقرية إلى «الإلهام» ذاته فالعبقرى – هنا – هو الشخص الملهم الذى تمده القوى الخفية بمدد من الإلهام لايتيسر لغيره من الناس .

وقديما كانت رؤية الانسان للكون قائمة على الانقسام والثنائية، أى نفى الوحدة الكونية ، ويترتب على تلك الثنائية القول بعالمين. أحدهما هو عالم البشر والاشياء ، وهو العالم الحسى، والآخر هو عالم المثل الذى قال به الفيلسوف اليونانى «أفلاطون» والحق أن الرؤية الثنائية للعالم والوجود أقدم من «أفلاطون» نفسه، بل هى قديمة قدم العالم ذاته. أى مذ حاول الانسان إيجاد تفسيرات لظواهر الطبيعة الغامضة من برق ورعد ومطر وعواصف وزلازل لم يكن لها من تفسير في هذا الوقت سوى القوى الخفية .

كـانَ الانسـان القـديم يرى خلف كل الظواهر التي تحيـره نفس القـوة الخفية التي تحكم العالم كله وتحدد مصيره، وإن كانت نفسـها قوى من عالم آخر غير عالمنا، انها قوى الروح، واليونان مثلا كانوا يعتقدون ان لكل شيء روحا حارسة، حتى الكواكب والاشجار والانهار، وسائر الظواهر الطبيعية، وكانوا يعتقدون ان لهذه الروح الحارسة أثرها في سلوك ومصير الكائن الذي تتلبسه. فاذا كانت هذه الروح عظيمة عضم قدر الكائن المتلبسة به، والعكس صحيح.

مثل هذا الاعتقاد وجد أيضا لدى الفراعنة وأهل بابل والفرس والهنود من قديم الزمن، المهم انه في الرؤى الكونية القديمة كانت تنتفي «وحدة الوجود» وينقسم العالم الى عالم منظور وعالم غير منظور وكان للعالم غير المنظور سيطرة وتحكم وتدخل في مصير العالم المنظور.

أما «الإلهام» فمهما اختلفت وسائله فهو ينتمي آخر الأمر الى ذلك العالم المجهول غير المنظور.. إنه طاقة خارجية يتجلى اثرها ونتيجتها على الانسان فتبدو منفصلة عنه، زائدة عليه، وإن كان «العقل» هو المحل الأول الذي يتلقى الإلهام ويظهره.

لكن يظل العقل، مع ذلك، مجرد مستقبل لحالة الإلهام الخارجي التي تملي الإبداع بمختلف أشكاله وانواعه دون أن يتدخل العقل في صياغة محتوى الالهام أو توجيه عملياته الفجائية. فالالهام يتم دفعة واحدة مفاجأة وبغتة بحيث لايمكن الوقوف على مراحل منطقية لحدوثه أو سيره، على خلاف

العمليات العقلية المألوفة في التفكير الفلسفي النظري القائم على المنطق أو التفكير العلمي وأبحاثه القائمة على التجريب والاستقراء ، ولقد عرف الالهام باعتباره احد المصادر الرئيسية القديمة للأفكار والمعارف والفنون الانسانية المختلفة، قبل تطور العلم، أي قبل ظهور النزعات التجريبية العلمية. لذا ترجع أغلب الأفكار الدينية عموما، والصوفية خصوصا، إلى «الإلهام» ومثلها الفلسفات المثالية التي اقامها الفلاسفة على نفس مبدأ القسمة الثنائية في تصورهم للكون والوجود. ويضاف الى الفلسفة والدين سائر الفنون التشكيلية المعروفة .

والمهم هنا هو أن القول بالإلهام يمثل اتجاها في تفسير ظاهرة العبقرية يسلكه فئة من العلماء والكتاب تعتبر الشخصية العبقرية شخصية تعتمد في عبقريتها على المدد الخارجي المجهول من العالم غير المنظور والذي يسميه البعض بالإلهام .

ونفس هذا الاتجاه لايعتبر « خبرات النفس العبقرية » خبرات ذاتية يمكن اعتبارها محصلة تفاعل العقل والبيئة ، بل يعتبر هذه الخبرات طارئة ، مستمدة من عالم آخر يستمدها الشخص العبقري ويستعين بها لإظهار عبقريته، وهم يذهبون إلى أن الفضل الأوحد للعبقري هو قيامه بتهيئة ذاته وإعدادها حتى تصلح لاستقبال هذا الوحي « الإلهام » .

من الواضح ان أصحاب هذا الاتجاه من المثاليين عموما، والمتصوفة خصوصا ، على ان أقوالهم في تفسير العبقرية بالإلهام والنور المحدد الذي

وصفوه العبقرى يجعلنا نتذكر آراء متصوفة الإسلام في « النفس» حين يشبهونها بالمرآة التى يجب على الإنسان المواظبة على جلوها وتنقيتها باستمرار حتى تصلح لتلقي التجليات الإلهية والمعارف والخبرات اللدنية (*)

وعندما كتب الامام أبوحامد الغزالي مؤلفه « تهافت الفلاسفة» انما كان يناصر القول بالوحي والإلهام ويرجح كفتيهما على كفة العقل والفلسفة . لكنه كان مثل فلاسفة اليونان ينسب الإلهام الى مصدر غيبي إلهي ، والحق أن نظرية الإلهام قد شهدت لها ظهوراً بعد عصر الفلسفة اليونانية والعصر الوسيط لدى الشاعر الفرنسي « بول كلوديل» الذى تمثل الإلهام لديه في شكل « حدس ديني » أو كشف صوفي ثم امتد اثر هذه النظرية كذلك الى «نيتشه» الذى يقول :

« إن الالهام يشبه البرق المفاجيء الذى يسمح للعبقرى (الفنان) بالرؤية لأنه يضيء له الطريق» ونفس الاعتقاد نجده ايضا عند «فيكتور هيجو» أو الشاعر الانجليزي « كلوريدج» فكل منهما يعلق أهمية كبرى على دور العاطفة والحلم والوجدان وعلاقتها بالإلهام.

وبرغم الاتفاق العام بين أنصار نظرية الإلهام، الا أنهم قد اختلف بينهم على الكثير من التفاصيل الدقيقة الخاصة بالنظرية . فمنهم « الالهام الى عالم غيبي ، ومنهم من ينسبه الى الوجدان والعاطفة وبعضهم يشبه الإلهام « بحلم اليقظة» .

(*) رحلة مع الله . الصوفية والتصوف ، المؤلف ١٩٩٤ .

وبرغم هذا ، فالإلهام عندهم جميعا «حالة نفسية» مفاجئة للشعور والعاطفة، مغايرة للنسق النفسي العادى للإنسان ، وتؤدى هذه الحالة النفسية إلى تغيير مفاجيء في الوعي والشعور والتفكير مما يؤدى إلى اكتشاف جوانب جديدة غير عادية أو غير تقليدية للعالم وموضوعاته من خلال رؤية إبداعية .

أما الأمثلة التي يمكن أن نضربها والتي يستدل بها أنصار « نظرية الإلهام» من الواقع التاريخي فهي كثيرة. ومن أمثلتها: الموسيقى العالمي الشهير «بتهوفن» المولود سنه (١٧٧٠) والذى مات سنه (١٨٣٧) فمن المعروف عن بتهوفن تمسكه بهذه النظرية واعتقاده الجازم فيها، حتى انه قد قرر يوما بأن موسيقاه ماهي الا ضرب من ضروب الوحي أو الرؤى التي تشبه الاحلام.

وهناك أيضا الموسيقى العالمي « فاجنر » المولود سنه (١٨١٣) والمتوفى سنة (١٨٨٣) الذى قرر انه عندما وضع افتتاحية «رانجولد» الشهيرة قد استولى عليه ضرب من النعاس والغيبوبة ثم استيقظ وهو يحس كأن أمواجا تتلاطم على مقربة منه. وشعر كأن موسيقى هذه الافتتاحية كامنة في نفسه[1].

ومن الظواهر العجيبة التي بالعبقرية المستندةالى «الإلهام»: ظاهرة «النبوغ المبكر» وهي ظاهرة يختص بها قلة من الأطفال يبرز نبوغهم الخارق بما يسمى «الإلهام الروحي » وقد يتوسع البعض في تفسير «الالهام الروحي»

(١) - مصطفى الكيك . تناسخ الارواح ، ص ١٩ ، منشأة المعارف .

نفسه حتى يشمل ظواهر روحية أخرى كالهيمنة أو الاستحواذ أو حتى التقمص والعودة للتجسد، لكننا نكتفي – في هذا الموضع – بالوقوف عند هذه الظاهرة وتجليتها في بعض « العباقرة» من أصحاب النبوغ المبكر على سبيل الاستشهاد بما للإلهام من دور في حياة العباقرة .

ومع ذلك لاينبغى ان يفوتنا في هذا المقام أن نقول ان ظاهرة «النبوغ المبكر» تستحق اكثر مما تتسمى به لما يكتنفها من المظاهر الخارقة سواء البدنية أو الذهنية . فالأطفال الذين يمتازون بهذا النبوغ تظهر لهم قدرات خارقة تتجاوز بكثير مراحل أعمارهم الحقيقية ومن هؤلاء الأطفال العباقرة نذكر مثلا :

فولفجانج أماديوس موتسارت :

الموسيقى النمساوى الشهير المولود سنة (١٧٥٦) والذى مات سنة (١٧٩١) والذى ألّف عدداً من السيمفونيات والأوبرات الشهيرة. وكانت أول سيمفونية من تأليفه وضعها وهو في الثامنة من عمره. وعندما بلغ العاشرة عيّن رئيساً لفرقة الموسيقى في « سالزبورج» وقبل أن يبلغ الرابعة عشرة كانت مؤلفاته الموسيقية قد بلغت عشرين أوبرا وسيمفونية. وقد ظهر نبوغه المبكر في سن الرابعة عندما لوحظت براعته الشديدة في عزف الأرغن[1].

جون استيوارت مل :

الفيلسوف الانجليزى الشهير الذى ولد سنه (١٨٠٦) ومات سنه (١٨٧٣)،

---

(١) مصطفى الكيك تناسخ الارواح ، ص ٩١ ، منشأة المعارف .

وهو علم من أعلام الفلسفة السياسية والمنطق والإصلاح الاجتماعى ، ومن ظواهر نبوغه المبكر انه درس اليونانية وعمره ثلاث سنوات، وتعلم اللاتينية في الثامنة من عمره. كما قرأ هيرودوت وأفلاطون في هذه السن أيضا ، ثم المّ بالفكر الفلسفى اليونانى كله بين الثامنة والحادية عشرة. ولم يتجاوز «مل» الرابعة عشرة الا وقد درس الاقتصاد السياسى والم بدراسات أخرى متنوعة في العلوم الطبيعية والتاريخ والأدب .

أما «**شوبان**» عبقرى الموسيقى ، فمن المأثور عنه أنه عزف أول كونشرتو له أمام الجماهير قبل أن يبلغ حتى التاسعة من عمره. والأمثله كثيرة منها «**فيكتورهيجو**» الروائى الشهير الذى حصل على جائزة اكاديمية «تولوز» وهو في الثالثة عشرة من عمره. ومنها «**بليزبسكال**» الفيلسوف الرياضى الذى عرف عنه النبوغ المبكر في الرياضيات والذى نشر مؤلفه الشهير « مقصل الأشكال المخروطية» وهو في السادسة عشرة من عمره. ومنها الرسام الشهير « وليم بليك» الذى عرف عنه نبوغه المبكر في الفن التشكيلى ، لكن «بليك» على وجه الخصوص يحتاج منا الى وقفة لان الإلهام عنده كان اكثر وضوحا في ارتباطه بالقوى الغيبية وعلى وجه الدقة بالارواح والاشباح ومن المعروف عن «بليك» اهتمامه الشديد بالدراسات الروحية واعتقاده الجازم في صدق الرؤى التى كانت تظهر له اثناء اليقظة وفيها كانت تتجسد أمامه أشكال مختلفة لبشر أو شخصيات تاريخية شهيرة أو حيوانات أو حشرات وكثيرا ماكان « بليك» يطلب من تلك (الأرواح) أن تظل أمامه لبرهة حتى يتمكن من رسمها أو الانتهاء من وضع «اللوحات التخطيطية

» لها على الأقل، ويزعم «بليك» كما يزعم بعض من يعرفونه جيدا ان هذه (الأرواح) كانت تطيعه راضية مبتسمة وتظل واقفة أمامه بالفعل حتى ينتهي من رسمها.

وفي الغالب ماكانت رؤى «بليك» تأتيه في ساعات متأخرة من الليل. كان الالهام الفني يواتيه فيما بين التاسعة أو العاشرة مساء حتى الواحدة أو الثانية صباحاً وربما حتى الثالثة أو الرابعة صباحا بينما كان «فرلي» جالسا إلى جانبه هاجعا أو مستيقظا، وكان «فرلي» يقول مثلا «ارسم لي صورة النبي موسى أو داود النبي» أو ربما كان يطالبه برسم مشابه ليسوع المسيح .. أو لاحدى الشخصيات التاريخية الأخرى العظيمة وكان من عادة «بليك» أن يجيب قائلا « هاهو» ثم يأخذ في الرسم بينما تكون الورقة والقلم الرصاص بين يديه، وكان ذلك يتم بأكثر خفة ورباطة جأش ، كأن هناك في الواقع شخصا جالسا أمامه .. وكان الموقف يتطلب من «بليك» في بعض الاحيان أن ينتظر حتى يظهر « الشبح» الذي لم يكن يأتي على الإطلاق في بعض الاحيان. وفي احيان أخرى كان «بليك» وهو منهمك في رسم الوجه يكف فجأة عن الاستمرار، ثم يقول بلهجته الهادئة المعتادة ، وبنفس رباطة جأشه الحقيقية «إن السماء تمطر ولا استطيع الاستمرار لقد ذهب .. يجب علي أن انتظر حتى يعود مرة أخرى » [1]

لكن هل يكفي «الإلهام» وحده حقا لتفسير ظواهر النبوغ المبكر والعبقرية؟

---

(١) يوسف ميخائيل اسعد العبقرية والجنون ، ص ١١٦ .

الاجابة هنا يقدمها كثير من العلماء الذين يقررون انه بعد الاستقصاء قد تبين ان النبوغ في الموسيقى -مثلا- يظهر عادة في صاحبه قبل بلوغه العاشرة ويكاد يبلغ قمته في السادسة عشرة. ويؤكدون أن الوراثة اكثر ارتباطا بالموسيقى منها بسائر الفنون الجميلة، وأن ظهور المواهب الموسيقية في سن مبكرة راجع إلى أنها لغة العواطف وهي لغة يولد بها الطفل. ويؤيدون ذلك بظهور نوابغ موسيقيين في أسرة «باخ» المشهورة وذلك خلال خمسة أجيال متعاقبة بغير توقف[1]

أما عبدالعزيز جادو فيقرر في «العودة للتجسد» ان هذا النبوغ المبكر عند الأطفال هو حصيلة غدد شاذة، وبالأخص الغدة النخامية والغدة فوق الكلية وتلك الغدة بالغة الصغر المسماة بالغدة الصنوبرية في المخ .

إذن الوراثة من جهة، والتكوين من جهة اخرى، يتكاتفان معا لتهيئة الشخص وإظهار عبقريته. وقد يكون الإلهام إحدى وسائل ظهور العبقرية، الا ان الالهام نفسه يحتاج الى «نمط نفسي» لا يتوافر الا لتكوين نفسي معين هو ذاته التكوين النفسي المألوف للشخصية العبقرية .

ومع ذلك تحتاج «نظرية الإلهام» منا الى وقفة أخيرة لمعرفة أسباب عدم كفايتها لتفسير العبقرية .

نقد نظرية الإلهام

فشلت هذه النظرية تماما في الإجابة عن السؤال الأساسي الذي يشكل

---

(١) : مصطفى الكيك . تناسخ الارواح ، ص ٩٧ ، منشأة المعارف .

محور البحث عن العبقرية فهي لم تقدم لنا التعريف المناسب للعبقرية ، بل تجرأت كذلك على تجاوز الواقع عندما نسبت العبقرية إلى عالم فوق الواقع. واعتبرت مظاهر العبقرية البشرية مجرد تجليات شجية لنموذج العبقرية المطلق في عالم مثالي .. ونستطيع أن نعدد أخطاء هذه النظرية فيما يلي :

١ – تعليل العبقرية تعليلا ينسبها الى عالم غيبي ويجردها من بشريتها وكافه الخصائص الانسانية التى تميزها .

٢ – نسبة «نتائج العبقرية » كالإبداع الفني الى قوى غيبية، غير إنسانية، متعالية على الواقع فأنكرت بذلك دور « العبقرى » في الابتكار والابداع والتأليف والتجديد .

٣ – تصويرها لحالة الإبداع على انها حالة لاشعورية يخرج فيها العبقرى عن وعيه وعقله وتتقمصه قوى غيبية تملي عليه ما تبدعه هي. فيكون دوره بذلك مقصورا على مجرد الترجمة أو النقل أو الابلاغ عن هذه القوى الخفية المتعالية .

٤ – تعتبر هذه النظرية ان للعبقرية «مثالها المطلق » في عالم المثل ، وهي من ثم ظاهرة غير نسبية. تنتفي عنها صفة الانسانية والنسبية معا، لذا فقد ربطت هذه النظرية بين « العبقرية» من جهة وبين « القيم الاخلاقية» مثل الحق والخير والجمال، من جهة اخرى، مما جعل للعبقرية من منظورها وظيفة تطهيرية دينيـــــة .

٥ –اعتبرت هذه النظرية أن العبقرى أو الفنان كائن مقدس أو هو موجود إلهى على حد قول «أفلاطون» وهذا يعني إنه كائن مغاير للواقع ، أعلى من الانسان ، منفصل عن العالم. برغم كونه مجرد أداة في يد قوى غيبية تملى عليه إبداعها الذى لافضل له فيه سوى نقله وإبلاغه للبشر، أى أن العبقرى هنا مجرد وسيط بين عالمنا المادى وعالم آخر غيبى غير منظور وإضافة إلى ذلك يختلف هذا الوسيط عن سائر البشر في امتلاكه خصائص تؤهله لتلقى الوحى والإلهام والاتصال بالعالم الغيبى غير المنظور وفقا لاستعداداته الخاصة التى يمتاز بها عن سائر البشر .

وهذا التناقض الواضح بين اعتبار العبقرى (الفنان) موجودا إلهيا وبين إعتباره كائنًا مسلوب الإرادة والوعى هو تناقض كفيل وحده بهدم نظرية العبقرية والإلهام من أساسها، إذ ليس من المعقول ان نتحدث عن «آثار العبقرية» باعتبارها «نتاجا بشريا» في الواقع ثم ننسب هذا النتاج الى كائن غيبى، أو حتى إلى كائن مسلوب الإرادة والوعى . وإذا كان الفن والإبداع من النتائج المرتبطة بالعبقرية ارتباطا وثيق الصلة فليس من المعقول أن نتحدث عنهما ونحن ننسبهما إلى موجود لاوعى له ولاقدرة على الخلق والابداع والابتكار، أو هو ليس اكثر من اداة طيِّعة تسجل مايُملى عليها. فاذا كان الفن «فكرة» يجب تجسيدها في إطار يحتوى المضمون الفنى. فإن هذا التجسيد يقتضى وجود الفنان القادر على استخدامْ القوالب الفنية، الموهوب موهبة تمكنه من تنفيذ أفكاره وإبداعاته . اذ لا فن بدون عمل وتنفيذ وقدرة على الخلق الذاتى .

نرى إذن أن هذه النظرية بإنكارها لدور الفنان أو العبقرى وتصويرها لحالة الإبداع غير الواعية، قد هدمت نفسها بنفسها ولم تقدم الإجابة الكافية عن الاسئلة التي تطرحها مشكلة العبقرية . وكل ماحاولت النظرية أن تفعله هو تفسير العبقرية والفن دون النظر الى العوامل الواقعية، والانسانية والجوانب العقلية والحسية للإبداع الفنى وبذلك لاتعتبر هذه النظرية إضافة حقيقية مفيدة في تاريخ البحث العلمي، وان شكلت خطوة هامة في تاريخ الفكر الفلسفى القديم والوسيط .

لكن الغالب أن ينظر العلماء اليها، اليوم، باعتبارها نظرية رجعية لأنها في تفسيرها لحالة الإبداع اكدت غياب الوعي والعقل ، وأكدت اكثر غيبوبة الفنان أوالعبقرى. واستسلامه لإرادة وقدرة قوى غيبية، فهو في عالم من الغيبوبة والخيـــــال .

ومن الواضح أن الاعتماد على الخيال وحده – وان كان احد مقومات العبقرية – في تفسير العبقرية والإبداع ليس كافيا، إذ الخيال في الغيبوبة كالحلم. غير مترابط وغير منظم ، والحلم يصدر عن اللاشعور الذى لايمكنه أن يشرف على عمليات تنظيم الإبداع من البداية الى النهاية .

إذن ليس الخيال وحده، أو الحلم وحده، يمكن ان نفسر بأحدهما أو بهما معا، ظاهرة العبقرية أو الفن كأثر من آثار العبقرية ، إذ نحن جميعا نتخيل أو نحلم، لكن مهما تفاوتت قدرة التخيل وسعة الحلم، فإننا لسنا جميعا عباقرة ذلك أن الاهم في العبقرية هو عنصر آخر غير الخيال أو الحلم وهو

عنصر «التنظيم» أعنى تنظيم المادة التى هى موضوع الإبداع أوالفكر أو العلم تنظيما يكشف جوانبه الجديدة .

والتنظيم هنا جهد عقلى يتميز بالوعى الفائق الذى تحركه وتدفعه إرادة حرة مبتكرة وإلى هذا الوعى وتلك الإرادة يمكننا أن ننسب أى عمل مبدع أو عبقرى .

أما نظرية الإلهام فإنها إلى جانب إنكارها لدور العبقرى أو الفنان فهى ايضا، وبالضرورة ، تنكر ما للعوامل الأخرى المؤثرة في العبقرية وآثارها من دور لايجب تجاهله. من ذلك انكارها للعوامل السيكلوجية، أو الفسيولوجية، أو الاجتماعية، أو البيولوجية ، والخلاصة انها تنكر كافة العوامل ذات الصلة بعالمنا الواقعى وتكتفي بالارتكان الى العالم غير المنظور الذى تجعل منه سببا وحيدا لكافة الظواهر الحادثة في عالمنا. ومن مقدمة تلك الظواهر ظاهرة العبقرية وما يتبعها من نتائج وآثار .

الفصل الرابع

جنون العباقرة

ارتبطت العبقرية بالجنون منذ قديم الزمن لأسباب عدة .

قد تكون هذه الأسباب تاريخية ، ترجع في مصدرها الى التفسير «التاريخي – اللغوى » الذي يربط بين لفظ «عبقرية» وبين لفظ «عبقر» وهو الوادي الشهير للجن عند العرب، ونفس التفسير يعني بالجن الخبل أو الجنون.

وقد تكون هذه الأسباب نفسية، مصدرها اضطراب نفسي أو خلل عصبي، أو فسيولوجي مؤثر نفسيا وعصبيا بحيث يصبح الشذوذ نتيجة طبيعية ملازمة للعبقرية . وهذا مايعتقده علماء النفس الذين أخذوا على عاتقهم مهمة تحليل الشخصية العبقرية ، إذ لاحظ عدد غير قليل من العلماء ان الصلة بين العبقرية والمرض النفسي أو المرض العقلي ، صلة ثابتة عند أغلب العباقرة وهي – إلى ذلك – صلة تؤيدها الشواهد الكثيرة المأخوذة عن دراسة حياة وأمراض العباقرة .

ويذكر علماء النفس أن «التناقض» من أبرز السمات الناتجة عن «الاضطراب النفسي» لدى العظماء والعباقرة ويضربون لذلك مثلاً بشخصية

«فرنسيس بيكون» الفيلسوف الانجليزي المولود سنة (١٥٦١) والذي مات سنة (١٦٢٦) ومن أشهر مؤلفاته كتاب «تقدم العلم» فقد بلغ التناقض أقصى مبلغه في شخصية «بيكون» التي جمعت بين العلم والفلسفة (نظريا) وبين الفساد والخيانة والإشراف على تعذيب السجناء في غرف التعذيب الشهيرة في البلاط الملكي نفسه، فاعتبره العلماء مثلا على التناقض بين الفكر والسلوك .

أما الشخصية الأخرى التي يعتبرها علماء النفس أيضا من الأمثلة الصالحة للدلالة على «تناقضات العبقرية» فهي شخصية الفيلسوف الفرنسي المعروف « رينيه ديكارت» المولود سنة (١٥٩٦) والذي مات سنة (١٦٥٠) وأشهر مؤلفاته كتاب «المقال في المنهج» وكتاب مبادىء الفلسفة» فقد كان «ديكارت» فيلسوفا مسيحيا (مؤمنا) لكنه لايتورع – مع ذلك– عن انشاء علاقات غير مشروعة بالنساء قد تصل الى حد انجاب الاطفال غير الشرعيين الأمر الذي يتنافى ، بل يتناقض ، مع الايمان المسيحي لكن هذا التناقض نفسه هو الذي سمح لديكارت أن يعتقد انه أوحى إليه بفلسفته من الله في رؤية منامية شهيرة !!!

لكن الى جانب «التناقض» هناك أنواع أخرى من الشذوذ ، تصل في بعض الاحيان الى حد الجنون ومن ذلك الشذوذ الذي اشتهر به الفيلسوف الفرنسي «فولتير» الذي ولد عام (١٧٦٤) وتوفي عام (١٧٧٨) فقد اثر عن هذا الفيلسوف عشقه الشديد للثروة وجمع المال رغم ما اثر عنه من الدعوة لأعظم الأفكار وأسمى المبادىء لكن الاعجب من ذلك هو العادة التي اعتادها

«فولتير» وأمامه اثنا عشر قلما من الرصاص على وجه التحديد، ولم يكن ليبدأ عمله الا اذا توافرت هذه الاقلام فاذا انتهى من عمله كسر جميع الأقلام الرصاصية وقام بلفها فيما كتبه ووضعها تحت رأسه قبل النوم !!

والحق ان شذوذ (فولتير) مجرد شذوذ من النوع الخفيف، وهو بالفعل يندرج تحت قائمة مسميات وأنواع الشذوذ لمجرد أننا نتعجب أو لا نستسيغ تلك الاعمال أو هذه العادات ، لكن الأمر يختلف عندما نتعرض لشخصية أخرى من أشهر الشخصيات الفلسفية، وهي شخصية الفيلسوف الفرنسي «جان جاك روسو» الذي ولد عام «١٧١٢» وتوفى عام «١٧٧٨» وأشهر مؤلفاته كتاب «العقد الاجتماعي» وكتاب «الاعترافات» نقول : إن الأمر يختلف في حالة «روسو» لأنه من الثابت عندنا، وفقا لكثير من المراجع النفسية أن روسو كان يعاني بالفعل «جنون الاضطهاد» وقد بلغ به هذا المرض حدا جعله يلقى بأولاده جميعا وهم خمسة أولاد في أحد الملاجيء المخصصة لرعاية اللقطاء، وأكثر من هذا كان «روسو» يحيا حياة مليئة بالمخاوف المرضية التى تصورها له أوهامه عن الاضطهاد. فكانت حتى الظواهر الطبيعية تحاول تدميره والقضاء عليه، كان يتصور أن الصواعق والبروق موجهة خصيصاً إليه من الله لقتله وان كل تصرف ممن يحيطون به إنما يقصدون منه القضاء عليه، لذا كان «روسو» يقوم بإعداد طعامه بنفسه ولم يكن ليجرؤ على تناول أى طعام أو شراب يقدم إليه مهما كانت درجة قرابة الذى يقدمة إليه !!

لعل أقرب الشخصيات العبقرية إلى «روسو» من حيث اشتراكها في نفس «المخاوف المرضية» شخصية الفيلسوف الألمانى «أرتور شوبنهور» الذى ولد

عام «١٧٨٨» وتوفى عام «١٨٦٠» وأشهر مؤلفاته كتاب «العالم كإرادة وفكرة» لقد اشتهر «شوبنهور» بالكآبة والعزلة والتشاؤم، ولذا لقب «بفيلسوف الألم» وقد بلغ تشاؤمه حدا جعله يصرح بأن « الرجل العظيم ليس القائد الفاتح بل هو الرجل الذى يفضل الموت على الحياة ».

أما «تشارلز ديكنز» الذى ولد عام «١٨١٢» وتوفى عام «١٨٨٠» فقد كان أشهر كتاب القصص الانجليزية وقد ترجمت أعماله العالمية الى كثير من اللغات وأشهرها «ديفيد كوبرفيلد» ثم «أوليفرتويست» والحق ان شخصية ديكنز كان لها أبلغ الأثر في أعماله، فقد اشتهر ديكنز بغرابة الأطوار وسرعة الغضب والتشدد الذى يبلغ حد «التسلط الابوى» في نطاق الأسرة، لكن الأمر مع الأصدقاء كان يختلف تماما ، كان ديكنز مشهورا بالمرح مع الاصدقاء وكان هذا المرح في كثير من الاحيان يأتى ممزوجا بغرابة الأطوار حتى ان اصدقاء ديكنز كانوا يتوقعون منه أن يزورهم في أي وقت من الليل حيث يدخل من النوافذ ليفاجئهم وهو في ثياب تشبه ثياب البحارة ، وكان من عاداته الغريبة عادة «التجوال الليلى» حيث يخرج من بيته ليمشى في اى اتجاه لمسافات طويلة فإذا ماخطر له صديق قرر زيارته فجأة. ولم يكن ديكنز من طراز الرجال الذين يهتمون بالأناقة أو الانسجام اللونى في ثيابهم أو حتى آداب الاتيكيت وكان – على الجملة – يفتقد الاتساق النفسى مع الذات والحياة، وكان هذا الاغتراب يساهم في تشكيل رواياته وأسلوبه القصصى بشكل واضح .

فاذا كانت غرابة أطوار ديكنز لم تصل الى حد الجنون فان «نيتشه» الفيلسوف الالماني الذى ولد عام «١٨٤٤» وتوفي عام «١٩٠٠» قد بلغ هذا الحد وتجاوزه فعلا وظل معايشا لحالة الجنون الفعلي لفترة طالت (١٢) سنة قبل موته. ويعتبر نيتشه من مؤسسي النزعة القومية الجرمانية، وهو صاحب مذهب «فلسفة القوة» الذى تأثرت به أجيال عديدة من شباب وأدباء وفلاسفة الغرب. وهذا المذهب يقوم في أسسه على مذهب التطور الطبيعي الذى جعل نيتشه من الانسان الأعلى « السوبرمان» هدفا له. وقد ترك نيتشه عددا من المؤلفات الفلسفية الهامة الجريئة ومنها «هكذا تكلم زارادشت» ثم «مولد المأساة» ثم « ما وراء الخير والشر» وغيرها أما حياته قبل الجنون فقد قضاها في عزلة عن المجتمع ، وكان عدوا للمرأة، خجولا الى أقصى حدود الخجل ولم يخرج نيتشه من عزلته الاختيارية الا إلى عزلة الجنون الفعلى الإجبارية .

أما «اينشتاين» أشهر علماء هذا القرن في الفيزياء . والذى ولد عام «١٨٧٩» وتوفي عام «١٩٥٥» فقد كان في غرابة أطواره قريبا بعض الشيء من «ديكنز» لكنه لم يبلغ حد الجنون الذى بلغه « نيتشه» ومن المعروف ان «اينشتاين» رغم كونه أمريكيا الا انه ولد في المانيا وانه لم يتوصل الى النسبية الا سنة (١٩١٦) وهى النظرية التى حصل بها على جائزة نوبل في الفيزياء سنه (١٩٢١) .

وبالطبع كان «اينشتاين» من العقول الجبارة المبدعة في مجال الفيزياء، كان قوى الذهن منظم التفكير الى أبعد الحدود لكنه مع ذلك كان فوضويا

كبيرا في حياته الخاصة وكان بيته يفتقر الى النظام في كل شيء ربما يرجع ذلك الى تحرره الشديد من كافة القواعد التى تحكم العالم والمجتمع، ومع ذلك كان اينشتاين يحيا في هدوء حياة بسيطة، كان يعشق الثياب القديمة ولايعنى بهندامه كما اثر عنه الزهد في الثروة والمناصب والألقاب ومقته الشديد للنفاق أوالمدح كما اشتهر بغرابة الأطوار والتصرفات الطفولية التى لاتتناسب مع مكانته العلمية وكانت أغلب هذه التصرفات تحدث اثناء الاستحمام وعند مغادرة البيت. ومع ذلك فان هذا الرجل الذى يتصرف كالاطفال حتى في حضرة الغرباء هو نفسه الرجل الذى قلب المرتكزات الاساسية للعلم الحديث «بنظرية النسبية الخاصة» ثم «نظرية النسبية العامة» والأغرب أن «النسبية الخاصة» لم تجهد ذهن هذا العبقرى اكثر من أسبوع واحد !!

وإذا كان (نيتشه) عاش في ظل الجنون الكامل الفعلى (١٢) سنة قبل موته فهناك من لم يسمح لنفسه أن يصل به الجنون الى هذا الأمد. خاصة أن جنونه كان خطراً، وأعنى هنا المصور الهولندى الذى عاش في فرنسا «فان جوخ» الذى ولد عام (١٨٥٣) وتوفى عام (١٨٩٠).

ومن المعروف ان «فان جوخ » من أبدع وأشهر الرسامين العالميين الذين عاشوا في ظل الجنون زمنا. وكانوا من أغرب الشخصيات الفنية والعبقرية وقد ترك فان جوخ تراثا فنيا هائلاً لايقدر بثمن لكنه رغم فنه و عبقريته كان غريب الاطوار شاذا الى حد الجنون، بل إنه كان هستيريا الى الدرجة التى جعلته في احدى النوبات الهستيرية يهدد صديقه «جوجان» بالقتل .

ولم يكن هذا التهديد أمرا عارضا من الأمور التي يمكن تجاهلها أو احتمال عدم حدوثها فعلا لأن حياة فان جوخ مليئة بالحوادث التي تجعلنا نصدق انه كان بمقدوره أن ينفذ تهديده بالفعل إذا خرج عن وعيه وشعوره في إحدى النوبات الهستيرية بل ان بعض هذه النوبات كان لها أثرها على فان جوخ نفسه وأشهرها النوبة التي قطع فيها إحدى أذنيه. وفان جوخ نفسه عندما أحس أخيرا بخطورة هذه النوبات ومايمكن ان تجلبه عليه وعلى المقربين منه من المخاطر أطلق على نفسه الرصاص ومات منتحرا حتى يتخلص من شبح الجنون !

ومن الواضح ان غرابة الاطوار ودرجات الجنون تتفاوت في القوة والضعف بين الشخصيات العبقرية التي تعرضنا لها حتى الآن لكن يندر ان نجد بين العباقرة شخصية واحدة ليس لها مثل هذا الشذوذ أو تأخذ بطرف من الجنون ومن الشخصيات المضطربة أيضا، لكن ليس الى حد الجنون نجد شخصية «موسوليني» الزعيم، ورجل الدولة الايطالي الذي ولد سنه (١٨٧٣) ومات سنه (١٩٤٥) .

وموسوليني هو مؤسس الحزب الفاشيستي الاتحادي الذي جمعت شخصيته بين الذكاء والعبقرية من جهة وبين الجنون والجاذبية من جهة أخرى، ولم يكن موسوليني يثق بأحد على الاطلاق كما كان التملق والإطراء هما الوسيلة الوحيدة للحصول على ثقته، ومن المعروف عنه كراهته الشديدة لكل من يبدي له النصح أو المعارضة ، فهو من الشخصيات الشديدة الثقة بنفسها الى الحد الذي لم يكن يعترف معه بالخطأ. فقد كان يقول . إن موسوليني لا

يخطيء أبدا، وكان يبرهن على ذلك بنجاح تنبؤاته التى قال بها في الكثير من خطبه وكان موسولينى ناجحا في استغلال نجاح هذه التنبؤات سياسياً .

ومع ذلك كان موسولينى في عبقريته غير ملتزم بأى خطط سياسية محددة سلفا وقد نجح الى حد ما بعدم التزامه هذا حتى وقع معاهدة لاتران سنة (١٩٢٩) لكنه هزم في الحرب العالمية الثانية وقتل، أما سمات شخصيته فهى الحقد والحسد وتقلب الرأى وعدم الاستقرار والشهوة الدائمة للانتقام، ومع ذلك برع موسولينى دائما في ابتكار الوسائل التى يتمكن بها من تزعم الجموع وقيادة الجماهير وتوطيد زعامته الحزبية (مع الخالدين : سمير شيخانى ، ص ٢٣٨) .

من شخصية موسولينى وغيرها نستدل على ان الثقة بالنفس لدى بعض شخصيات العباقرة سمة من السمات الهامة اللازمة، لكنها قد تزيد عن حدها فتبلغ الغرور القاتل، الذى يدفع العباقرة الى اعتقادات في غاية الغرابة وقد تصل في بعض الاحيان الى حد مخالفة المنطق التقليدي . لكن العباقرة هم انفسهم صنّاع هذا المنطق. هم الذين يقررون للعقل سبله، أى أنهم يخضعون العقل العام لعقولهم الخاصة لذا فهم لايهتمون كثيرا لغرابة منطقهم الخاص أو اعتقاداتهم الشاذة .

وقد كان «برتراند راسل» يعتقد ان العباقرة والمبتدعين العظام قد يظنون في أنفسهم أنهم حاصلون على نفحة إلهية، أو أنهم أشباه آلهة .. وهذا الموقف يقترب من جنون العظمة، وهذا المرض نفسه يتجلى لدى «روبرت أوين»

لكن في شكل مخفف[1] كل هذا قد يكون مبعثا للدهشة، لكن الاكثر مدعاة للدهشة والعجب هو انه عندما شاعت أفكار الروحية ومايرتبط بها من نظريات عن العودة للتجسد، وهي نظريات وأفكار دينية قديمة بعثها البعض من الديانات الشرقية عموما، والهندية خصوصا ، ومنها عقيدة تناسخ الارواح. نقول عندما بعثت هذه الأفكار من مرقدها تحت تراب التاريخ، اندفع بعض المشاهير، خاصة من السياسيين، الى القول بأنهم عاشوا قبل حياتهم تلك مرات ومرات ثم ماتوا، وعادوا للتجسد في شخصياتهم الحالية، فأثبتوا بذلك مابين العبقرية وبين هذيان الجنون من صلة وثيقة .

من هؤلاء نذكر «نابليون» الذي كان يعتقد انه هو نفسه كان «الاسكندر الاكبر» قبل ذلك، أي في حياة سالفة وانه عاد للتجسد في شخصيته الحالية بعد موته[2] .

أما «هملر» فقد كان مثل نابليون يعتقد أنه قد عاش قبل حياته تلك ، حياة أخرى انتهت بموته قبل ان يعود للتجسد في الحياة الحالية وانه ليس سوى تجسد للملك «هنري الأول» اول ملوك الساكسون ونذكر ايضا «هتلر» الذي كان يعتقد انه كان في حياة سابقة، ثم عاد الى الحياة بعد موته أي تجسد في شخصية هتلر، أما شخصيته في الحياة الماضية فقد كانت تحت اسم «تبريوس» ثاني أباطرة الرومان!!

---

(١) التكوين الروحي رءوف عبيد ، الجزء الثاني ص ١٠٥٧ .

(٢) العبقرية والجنون يوسف ميخائيل ص ١٢٣

الفصل الخامس

إختبر عبقريتك

فى تعريفنا بالعبقرية قلنا إنها أولا وأخيرا جماع الموهبة والاستعداد الفطرى والإبداع والخلق الرفيع والروح الناقد المتمرد والشخصية المتميزة بالذكاء والقدرة على حل المشكلات .

ولما كانت العبقرية تعتمد على الذكاء في جانب عظيم منها فإن الشخصية العبقرية وفقا للسمات التى تناولناها في البداية يجب أن تتوافر فيها الذكاء وقوة البديهة ، والثقة بالنفس، وقوه الملاحظة والقوة النفسية التى تميز «النمط النفسى» المميز للشخصية العبقرية . لذا رأينا أن نضم إلى هذا الكتاب مجموعة الاختبارات الرئيسية الخاصة بالعبقرية ، وهى اختبارات قوة البديهة، والشخصية، والنفسية، والذكاء ويمكن لكل قارىء الاستعانة بتلك الاختبارات لتحديد مكانته أو موقعه الفعلى بين الشخصيات العبقرية .

**** اختبار قوة الملاحظة :**

ويتضمن أمثلة لكفاءة قدرة الاكتشاف السريع (قوه الملاحظة) فيما يلى:

١-اكتشاف الكلمة الدخيلة في الكلمات التالية.(واحد ،سبعة ،خمسة ،أخضر).

٢- اكتشاف المربع الدخيل بين أربعة مربعات يضم المربع الاول الارقام : (٦، ٢، ٢، ٤) والمربع الثانى (٥ ، ١، ٣، ٩) والمربع الثالث (٦، ٦، ٤، ٢) والمربع الرابع · (٨، ٤، ٦، ٤) .

٣- اكتشاف اليوم الذى يتبع الايام التالية : (احد ، ثلاثاء ، جمعة ، خميس).

٤- أكمل الارقام التالية : (١٨٨١ ، ٢١١١٢، ٢٤٤٢ ، ،) .

٥- اكتشاف المربع الدخيل بين أربعة مربعات يضم الاول الأرقام : (٥ ، ٨ ، ٦، ٧) والثانى . (١ ، ٤، ٢ ، ٣) والثالث · (٢، ٥، ٣، ٤) والرابع · (٤ ، ٦، ٥، ٧) .

**النتائج :

١ – أخضر ٢ – المربع الاول ٣ – جمعة

٤ – ٤١١١١٤ ، ٨٣١١٣٨ ٥ – المربع الثالث

وقبل الانتقال لاختبار (حل المشكلات) نستعرض معا اختبار (قوة البديهة) .

**اختبار قوة البديهة :

ويتضمن أمثلة لقياس كفاءة سرعة البديهة فيما يلى ·

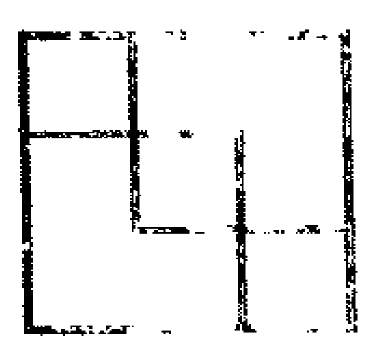
١-اكتشف الرقم الناقص بين الارقام التالية:(٥، ٣، ١/٦، ٤، ٢/٧، ٣،).

٢ - أكمل الارقام التالية (٨ . ٣ . ٢، / ١ . ٧ . ٦، / ٢ . ٥،) .

٣ - أكمل الأرقام التالية (٥ ، ٠ ، ١ / ٨ ، ٣ ، ٤ / ١، ٧،) .

٤ - أكمل الأرقام التالية : (٧ ، ٣، ٥ / ٧ ، ٣، ٤ / ، ٠ ، ٩) .

٥ – كم عدد المربعات في هذا الشكل



النتائج :

١ – الرقم ٥ ٢ – الرقم ٩ ٣ – الرقم ٧

٤ – الرقم ١ ٥ – ٦ مربعات

وبعد هذه الاختبارات السريعة يمكننا الانتقال معا لاختبار حل المشكلات.

اختبار حل المشكلات :

والمقصود منه قياس قدرة الكفاءة الفعلية لحل المشكلات وكيفية قياسها في الاجابة عن الاسئلة التى يتضمنها الاختبار وامام كل سؤال درجاته التى تحدد حاصل الإجابة ، فإذا جمع القارىء حاصل إجاباته عن جميع الاسئلة

استطاع تحديد كفاءة قدرته فيما إذا لم تقل عن ٧٥ درجة ويمكن إجمال اسئلة الاختبار فيما يلي .

	نعم	أحيانا	لا
١ – أميل لمعالجة المشاكل غير المعقدة	١–	٠	١+
٢ – يمكنني تحليل المشكلة بسرعة لكني ابطيء في الحل الفعلي	٢–	٠	٢+
٣ – أغير طريقتي في حل المشاكل بسرعة إذا لم تكن صحيحة .	١+	٠	١–
٤ – أتمتع بالصبر وطول البال في معالجة المشاكل التي تحتاج الى وقت طويل .	١+	٠	١–
٥ – أجيد فن التفكير .	١+	٠	٠
٦ – لا يمكنني الإعتماد على الحدس في معالجة المشاكل	٢–	٠	٢+
٧ – لست عبقريا .	٢–	٠	٢+
٨ – أمقت الأسئلة الدالة على الغباء .	١–	٠	١+
٩ – أحتد إذا منعت من عمل يسعدني .	١+	٠	١–
١٠ – تفكيري دائما غير مرتبط بإرادتي	١+	٠	١–
١١ – افكاري جيدة في وقت الفراغ	١+	٠	١–
١٢ – كثرة الافكار تسبب لي الأرق	١+	٠	٠
١٣ – اتمكن من تقدير حل المشكلة بشكل فوري	١+	٠	١–
١٤ – البحث عن معلومات محددة يثير قدرا عظيما من اهتمامي	٢–	٠	٢+
١٥ – أعتقد في أهمية التفكير المنطقي لحل المشاكل .	٢–	٠	٢+
١٦ – إهمال الافكار المنطقية في حل المشاكل يدل على عدم منطقية الشخص .	١–	٠	١+
١٧ – أجمع معلومات كافية عن المشكلة قبل حلها	٢+	٠	٢–
١٨ – لا أطرح اسئلة تؤدي الى تضييع الوقت .	١–	٠	١+
١٩ – لا أهتم بالمشاكل المعقدة أو مستحيلة الحل .	١–	٠	١+

	نعم	أحيانا	لا
٢٠ – مع المشاكل المعقدة أو المستحيلة أجرب حلولا لا تخطر على البال .	١+	٠	١−
٢١ – أراني اكثر من غيري أمام كل مشكلة .	١+	٠	١−
٢٢ – أعتقد أن خيالي رحب .	١+	٠	١−
٢٣ – مقدرتي على العمل بصرف النظر عن حالتي النفسية جيدة .	١+	٢+	٠
٢٤ – أملك قدرة التفكير تماما كالاطفال .	١+	٠	١−
٢٥ – احلام اليقظة تساهم بالافكار في الحلول والخطط لمشكلاتي .	٢+	٠	٢−

** إختبار الشخصية :

والمقصود منه اختبار السمات الايجابية والسلبية والاتساق مع النفس والعالم وقوة التفكير وتكامل الشخصية عموما وعدم التناقض بين أفكارها وسلوكها .. وما الى ذلك، وهو اختبار يتضمن عدة أسئلة عليك الإجابة عليها بنعم أو لا ثم تقدير الدرجات المناسبة كما في المثال السابق وفقا للدرجات المقدرة لكل إجابة على السؤال الخاص به والاسئلة هي :

	نعم	أحيانا	لا
١ – قليلا ما أندفع وأتسرع في التصرف .	١−	٠	١+
٢ – في الغالب أفكر قبل الاقدام على الفعل	١−	٠	١+
٣ – لا أستسلم إذا لم تسر الأمور جيدا .	٠	٠	١+
٤ – أخضع نتائج أعمالي للفحص .	١−	٠	١+
٥ – أنا شخص نشيط .	١+	٠	١−
٦ – ما أفعله ليس بالضبط هو كل ما أريده حقا .	١+	٠	١−
٧ – يصفني الناس بالقياء .	١+	٠	١−
٨ – احتفظ في تصرفاتي واحكمها بالعقلانية .	١−	٠	١+
٩ – أمقت الفشل .	١−	٠	١+

العبارة	نعم	أحيانا	لا
١٠ – اختلافى عن الآخرين ليس عظيما	٠	٠	+١
١١ – لا يهمنى أن أكون غير محبوب من الناس .	+١	٠	
١٢ – أعتقد أننى أملك حرية أكثر من غيرى	+١	٠	+١
١٣ – أعتقد أن التفاخر (أحيانا) ليس من الاشياء السيئة .	+١	٠	-١
١٤ – أعتقد أن عملى منتظم إلى غير حد .	-١	٠	+١
١٥ – أعتقد أننى أسعد الناس .	-١	٠	+١
١٦ – أعتقد أن أغلب مشاكلى من التدخل فيما لا يعنينى .	+٢	٠	-٢
١٧ – أقدم على المخاطرات حتى غير المضمون نجاحه منها .	+١	٠	-١
١٨ – معظم سلوكياتى خاضعة للنقد الذاتى دائما .	+١	٠	-١
١٩ – أمقت المفاجآت .	-١	٠	+١
٢٠ – أنا ضعيف الحماس غالبا .	-٢	٠	+٢
٢١ – قوتى على مواجهة الشدائد اكثر من غيرى .	+١	٠	-١
٢٢ – في الغالب أميل للوحدة حتى أعالج مشاكلى .	+٢	٠	-٢
٢٣ – أتمتع بشخصية معقدة أكثر من غيرى .	+١	٠	-١
٢٤ – غالبا ما أفتقر الى الواقعية .	+١	٠	-١
٢٥ – أصر على أهدافى ولو ضحيت براحتى من أجلها .	+١	٠	-١
٢٦ – أعتقد أننى منفتح على الناس .	+١	٠	-١
٢٧ – أعتقد أن الكمال مسألة نسبية .	-١	٠	٠
٢٨ – أحيانا أستخدم المناورة لإخفاء انفعالاتى السلبية .	+١	٠	-١
٢٩ – أملك قدرة التشدد في محاسبة النفس على الفشل .	+١	٠	-١
٣٠ – أنا شخص كثير النسيان ضعيف الذاكرة .	+١	٠	-١
٣١ – أمقت فوضى المدينة .	-١	٠	+١
٣٢ – المشاكل التى تخصنى اكثر من مشاكل الناس .	-١	٠	+١
٣٣ – نادرا ما أخطىء في ابتداء أعمالى .		٠	٠
٣٤ – أعتقد أننى مفكر من النوع المنغلق على نفسه .	+١	٠	-١
٣٥ – أملك قدرة التكيف مع الناس غالبا .	+١	٠	-١
٣٦ – انا شخص كثير الاعتماد على عواطفه .	+١	٠	-١

	نعم	أحيانا	لا
٣٧ – أملك قدرة الخوض في مشاكل المدينة العامة	+١	٠	–١
٣٨ – غالبا ما أضع حلول مشاكلي بسرعة وحسم .	–١	٠	+١
٣٩ – لا أهتم بالأخطاء التي أرتكبها .	–١	٠	+١
٤٠ – أعتقد أن الاستقلال من شروط السعادة الشخصية .	+١	٠	٠
٤١ – اثق بنفسي ثقة عظيمة .	+٢	٠	٠
٤٢ – أستخدم الجرأة في أعمالي .	+١	٠	–١
٤٣ – أستخدم الحسم لإنهاء مشاكلي .	+٢	٠	–٢
٤٤ – غالبا ماتعم الفوضى مسكني .	+١	٠	–١
٤٥ – أعتقد أنني أقوى وأضعف من غيرى نفسيا .	+٢	٠	–٢

** إختبار النضج العاطفي :

وهو اختبار لكفاءة نمو وتطور الشخصية وقياس نضجها في مرحلة الرجولة على أن يؤخذ في الاعتبار أن الرجولة النفسية أو العاطفية ماهى الا موقف متزن من مواقف الحياة المختلفة وهى في الوقت ذاته ليست على طرف النقيض مع المرح والانطلاق على السجية والصدق، وليست كذلك تجسيداً لسمات سلبية مثل الخشونة والتزمت والتعالي والصلف والغرور. ولقياس درجة النضج العاطفي اليك الأسئلة التالية .

١ – هل تسلم نفسك للفشل بسهولة ؟

٢ – هل تغلب عليك الكآبة ؟

٣ – هل تجذب إليك أنظار الآخرين بمختلف الوسائل ؟

٤ – هل ينتابك الخوف عند مواجهة المشاكل ؟

٥ – هل تستبد برأيك وتعاند آراء الآخرين ؟

٦ – هل يحكم الارتباط الاسرى علاقتك بأسرتك ؟

٧ – هل تقر بالخطأ عندما ترتكبه ؟

٨ – هل تتسم شخصيتك بالاستبداد وحب السيطرة ؟

٩ – هل تلقى تبعة أخطائك وفشلك على الغير ؟

١٠ – هل تسمح لنفسك بالانفعال إذا ما ساءك شيء ؟

١١ – هل تكدر المنغصات التافهة حياتك ؟

١٢ – هل أنت مصدر استياء للأصدقاء ؟

١٣ – هل تمتلك الغيرة إزاء نجاح الآخرين ؟

١٤ – هل تكره الغير أو تفاخر بكراهيتك لهم ؟

١٥ – هل أنت حاقد على الحياة ؟

١٦ – هل تشعر بالظلم الواقع عليك وعدم العدل ؟

١٧ – هل تطمح الى التقدم بمستواك المعيشى ؟

١٨ – هل تمقت الانفراد والتفرد ؟

١٩ – هل سيطر عليك الشعور بضرورة الانتحار ؟

٢٠ – هل تدفع الآخرين الى مشاركتك في العواطف ؟

٢١ – هل تندم كثيرا على أقوالك وأعمالك ؟

ويقول «وليم سرجيوس» في كتابه «علم النفس في خدمتكم» عن كيفية الاستفادة بالاختبار السابق : «إجمع الدرجات التى تعطيها لنفسك فتدلك على النسبة المئوية للطفولة في نفسك فإذا كانت درجاتك دون العشرة في المائة فاعلم أنك ناضج من الناحية العاطفية الى غاية ما يمكن أن يطمع فيه انسان من النضوج على انه اذا أردت حياة صحية مدركة نافعة فينبغي الا تزيد نسبتك المئوية على ٢٥٪ وأما اذا كانت نسبتك المئوية، أعلى من هذه، فاعلم أنك تضيع قواك في ناحية من النواحي ومن ثم يلزمك التوقف لتدرس حالتك حتى تتعرف على تلك الناحية وتوقف ضياع نشاطك النفسى فيها».

** اختبار القوة النفسية :

وهو اختبار لتحديد مجموع السمات العامة للنسق النفسي وهى السمات التى تحدد ملامح هذا النسق، على أنه يجب أن ندرك أن القوة النفسية تتحقق خلال السمات الإيجابية وتقل أو تضعف تدريجيا كلما كثرت السمات السلبية ولإجراء هذا الاختبار عليك إختيار ١٥ صفة من الصفات التالية :

١ – النشاط من صفاتى (٢)
٢ – أملك قدرة على الإقناع
٣ – دائم الملاحظة وتتبع الأشياء (٢)
٤ – دائم التتبع الموضة .
٥ – أثق في نفسى (١)
٦ – مثابر
٧ – مجدد ومتطور (٢)
٨ – حريص وحذر
٩ – مهووس
١٠ – عبقرى (٢)
١١ – أنانى
١٢ – مستقل الشخصية (٢)
١٣ – حسن الخلق .
١٤ – يقدرنى الناس
١٥ – حاسم
١٦ – غير حاسم (١)

١٧ – وفي .
١٨ – أمقت الكلاسيكية (١)
١٩ – أتميز بالسرعة
٢٠ – أتميز بالجدية .
٢١ – مرهف الحس (٢)
٢٢ – أتميز بالشجاعة (١)
٢٣ – صاحب ضمير حي .
٢٤ – أتميز بالواقعية (١) .
٢٥ – صاحب شخصية معقدة .
٢٦ – أتميز بالهدوء .
٢٧ – أتميز بالانتظام
٢٨ – صاحب شخصية قوية .
٢٩ – أتميز بالحماس (٢)
٣٠ – صاحب شخصية عملية .
٣١ – صاحب شخصية منفتحة
٣٢ – طماع .
٣٣ – متفهم .
٣٤ – غبى (١)
٣٥ – متواضع .
٣٦ – اجتماعى (١)
٣٧ – أمتاز بالمرونة .
٣٨ – متسرع
٣٩ – إنفعالى
٤٠ – منغلق على الذات .

وقد تم تقدير درجة كل سمه من السمات أمامها فأجمع درجات السمات التى تتصف بها تعرف من أنت ومقدار قوتك النفسية إذ تم تقديم بعض السمات بدرجه (١) وبعضها بدرجة (٢) .

** اختبار الذكاء :

اكمالا لاختبارات قوة الملاحظة وقوة البديهة نورد هذا الاختبار الذى يعتبر نموذجا من النماذج الكثيرة المتنوعة لاختبارات الذكاء فقد يبنى نموذج اختبار الذكاء على اكتشاف المتشابهات أو المتضادات في تركيب مجموعة من الكلمات، وقد يبنى على اكتشاف التماثل التشبيهي كما في جملة : «الأب للأم كالزوج للأخضر، للزوجة ، للأحمر ، للعمل» وقد يستعاض عن الكلمات

بالأشكال الهندسية أو الأرقام لكن في النهاية يظل الهدف من اختبار الذكاء هو تحديد (درجة الذكاء) بدقة تعيّن المستوى الفعلى للأداء العقلى بحيث نتمكن من تصنيف الشخص الخاضع للاختبار في مستويات محددة على ضوء التقدير الثابت المعترف به لدى علماء النفس لمقاييس الذكاء، ولكى يتضح موقف العباقرة من حيث درجة الذكاء بالنسبه لباقى أترابهم من الناس، نستعرض فيما يلى توزيع الأفراد إلى فئات في ضوء مستوى الذكاء، والنسبة المئوية التى تحتلها كل فئة بالنسبة لمجموع السكان (١)

التصنيف	معدل الذكاء	النسبة المئوية
١ – موهوبون جدا	(١٤٠ – فما فوق)	١
٢ – موهوبون	(١٢٠ – ١٣٩)	٢ر٥
٣ – أعلى من المتوسط	(١٠٠ – ١١٩)	١٦
٤ – متوسطون	(٨٥ – ٩٩)	٤٥
٥ – أقل من المتوسط	(٨٠ – ٨٤)	١٦
٦ – مجموعة بين بين	(٧٠ – ٧٩)	٨
٧ – متأخرون عقليا	(٦٠ – ٦٩ ، ٥٩ – فأقل)	١

والآن نقدم هذه المجموعات من الكلمات وعليك اكتشاف الكلمة الدخيلة على كل مجموعة بحيث تعطى نفسك خمس درجات لكل إجابة صحيحة ، ثم إجمع مجموع درجاتك في النهاية لتقدر مستوى ذكائك :

١ – بيرون ، بودلير ، باستور ، شيلى
٢ – خبز ، حلوى ، خضر ، لحم .
٣ – وقت ، ساعة ، دقيقة ، يوم .
٤ – جهاز الهواء ، الكاربراتير ، عربة ، جهاز حفر المعادن .
٥ – موسيقى ، عود ، لحن ، نغمة .
٦ – ايطاليا ، فرنسا ، السويد ، مصر
٧ – إدارة ، قلاب ، بيع ، شراء .
٨ – صراخ ، ثرثرة ، زعيق ، هتاف .
٩ – ورق ، حبر ، كتابة ، قلم رصاص
١٠ – إتجاه ، زاوية ، خط طول ، بوصلة .
١١ – علم الحياة ، علم الكيمياء طيران ، علم النفس .
١٢ – بحر ، بحيرة ، نهر ، جزيرة .
١٣ – أهلية ، تفوق ، امتياز ، ثناء .
١٤ – شجرة ، غابة ، حرش ، حرجة .
١٥ – مباحثة ، مناقشة ، مجادلة ، مغزى.
١٦ – كلية ، مكتبة ، جامعة ، مدرسة.
١٧ – أحمر وردى ، أصفر ، أخضر، مظلم
١٨ – رعب ، مصيبة ، خوف ، فزع

** الإجابات الصحيحة :

وهى الكلمات التى يجب اختيارها واحتسابها في النتيجة الأخيرة لهذا الاختبار وبيانها كالتالى : (١) باستور (٢) حلوى (٣) وقت (٤) عربة (٥) عود (٦) مصر (٧) قلاب (٨) ثرثرة (٩) كتابة (١٠) بوصلة (١١) طيران (١٢) جزيرة (١٣) ثناء (١٤) شجرة (١٥) مغزى (١٦) مكتبة (١٧) مظلم (١٨) مصيبة.

** اختبار الثقة بالنفس :

وهو اختبار يتطلب الاجابة على الاسئلة التالية وبها تعرف مقدار وحدود ثقتك بنفسك (١) :

١ – هل تسير رافع الرأس ثابت الخطى ؟
٢ – هل تتحدث الى الغير بصوت مسموع (واضح) ؟

٣ – هل أنت مقتنع بإمكان ازدياد مقدرتك ؟

٤ – هل تركن لحكمك على الأشياء أم تركن لحكم الغير عليها ؟

٥ – هل ترى أن في وسعك أن تساهم في جعل العالم مكانا أفضل للعيش؟

٦ – هل تحتفظ ببشاشتك واتزانك في الوقت الذى يفقد فيه الجميع بشاشتهم واتزانهم ؟

٧ – هل تتقدم باقتراحات لتحسين العمل الذى تضطلع بجانب منه ؟

٨ – هل تعنى بمظهرك وهندامك ؟

٩ – هل تسيطر على كل جنوح للانغماس في أحلام اليقظة ؟

١٠ – هل تقدم على حل المشكلات الخاصة بالعمل كلما طرأت مشكلة ؟

١١ – هل تعتقد أن في استطاعتك بذل مجهود اكبر مما تبذله بالفعل ؟

١٢ – هل تفعل شيئا لإزالة مخاوفك وأسباب قلقك ؟

١٣ – هل تسير على برنامج يهدف الى تحسين مستقبلك ؟

١٤ – هل تعلمت أن تحتفظ بهدوئك طول الوقت ؟

١٥ – هل تمقت الإخفاق وتتحدى الفشل بمواصلة العمل ؟

والآن فإذا كانت أغلب الاجابات بنعم فانت ممن يتمتعون بالثقة بالنفس وإذا كانت اجاباتك سلبية (بالنفى) على اكثر من ثمانية أسئلة فانت مهتز الثقة بالنفس وعليك علاج هذه المشكلة بتجنب أسبابها .

الفصل السادس
اكتساب العبقرية

ذكرنا ما للوراثة من دور في توريث بعض السمات العبقرية .

لكن يجب أيضا القول بأن العبقرية، كاملة ، لاتورّث . إذ لابد لها لكي تنمو وتتطور من وسط أو مناخ يعمل على تنميتها ، والبيئة التي ينشأ فيها الانسان تتدخل إلى حد بعيد في تحديد مساره ومصيره فقد ينشأ الانسان في بيئة من الجهل والفقر والمرض ، وفي أسرة يكثر الفساد والانحراف بين افرادها ومن ثم يرث هذا الانحراف ولايجد - بعد الوراثة - من يوجه طاقاته إلى المسار السليم الذي يستغل فيه طاقاته الكبرى كما ينبغي - لذا يشب منحرفا محتذيا سيرة أهله في الانحراف .

لكن نفس البيئة، إذا توافر لأفرادها قدر من الذكاء والتوجيه السليم هي نفسها التي تساعد على النبوغ والعبقرية وتتحول فيها المعوقات الى دوافع التحدي والتميز .

الوراثة وحدها إذاً ليست السبب الكامل الوحيد، في العبقرية لان العبقرية لاتورث دفعة واحدة، كاملة، مكتملة، إنما عمل الوراثة هو مجرد غرس بذور العبقرية ونقلها من جيل إلى جيل وعمل البيئة بعد ذلك هو إما تنمية هذه

البذور أو افسادها، معنى ذلك أن الدور الرئيسي للبيئة هو أنها تهيىء لنا اكتساب العبقرية بشروط مناخية معينة، وإن علينا أن نوفر لأنفسنا المناخ الملائم لتنمية مواهبنا وملكاتنا وقدراتنا حتى تظهر عبقريتنا في مجال من مجالات ظهور العبقرية ووفقا لمواهبنا الفعلية .

وأول الشروط اللازمة لتوفير هذا المناخ هو أن تعرف أن العبقرية في ذاتها ليست معجزة فوق طاقتنا أو خارج حدود امكانياتنا، وأن الذين يحوزونها بالفعل ليسوا أقدر منا عليها لأنها مجرد طاقة ذهنية ونفسية تنمو وتتبلور في ظروف معينة وقد أحسن تنميتها وتوجيهها وأن العبقرى الحق لابد أن يعرف أولا حدود طاقاته النفسية والذهنية ، وطبيعة ومجال مواهبه ومسار اتجاهها أى المسار الذى تظهر فيه تلك المواهب حتى يتمكن من توفير المناخ الملائم لتنميتها وتطويرها وإظهارها .

إن العباقرة لايولدون أذكى من غيرهم، جميع البشر يولدون أذكياء ، لهم نفس الطاقات والقدرات، لكن هذه القدرات ومن بينها الذكاء – لا تنمو الا فى بيئة مناسبة وبشروط معينة لايعمل الجميع على توفيرها . ويهمل الكثير من الناس توجيه طاقاتهم بشكل مقنن وفقا لبرنامج حياتى شامل يجعل للحياة هدفا أعظم من الغايات الغريزية أو الروتينية اليومية التى تقيدهم دائما الى صفوف البشر العاديين. إنهم يبدأون بالإهمال ثم يستسلمون بعد ذلك للبيئة الاعتيادية التي يكرسها الإهمال وعدم الانتباه الدائم والتى لاتوفر المناخ للنبوغ .

ويمعنى آخر، لقد تركوا مصيرهم في ايدى الجموع الجاهلة وفقدوا من ثم سبل التفرد والاستقلال وفرصة الوجود الحق، أى فرصة الإبداع وحريته بل فقدوا القدرة على الابداع بفقدهم للاستقلال إذ ليس الإبداع في النهاية سوى القدرة على مخالفة الجموع بالتجديد والجرأة على الابتكار .

العبقرية إذاً ليست منحة من منح الوراثة، وليست هبة تهبط على من تختارهم القوى الخفية المجهولة، وإنما هى اكتساب يتحقق بالكفاح والعمل الدائب لتحقيق الذات وتنمية وإظهار مواهبها وملكاتها وتميزها واستقلالها على أن هذا الكفاح يبدأ فوراً مع اكتشاف العبقرية، لاسيما العبقرية المبكرة لدى الأطفال مما يلقي على كاهل الأسرة عبئا ومسؤلية عظيمة في التربية، إن تربية الطفل الموهوب تختلف عن تربية الطفل العادى بكل تأكيد لما بين هذا وذاك من اختلافات سيكلوجية يقتضى منا مراعاتها تغيير النمط التربوى حتى يتواءم مع الشخصية الموهوبة منذ الطفولة وحتى نتمكن من تنمية مواهب الطفل الموهوب ولسوف نجد أن كفاحنا في تنمية مواهبه وقدراته تتوازى مع كفاحه الذاتى الذى يمارسه هو نفسه منذ الصغر، ويدلنا على ذلك سلوكه إذا تنبهنا له وفي هذا الصدد يقول «كرولشانك» :

إن الطفل الموهوب لايحب أن ينصب في قوالب سلوكية صارمة إنه يريد أن يجدد في أنماط سلوكه، بل وفي لغة حديثه، إنه سريع التبرم بما صار مألوفا ومما يشيع على الأقلام واكثر من هذا فقد يعمد الطفل الموهوب إلى

ابتكار الكلمات للتعبير بها عن أفكار معينة(١) إذ «يعبر حب الاستطلاع لدى المتفوقين عن رغبة اكيدة العلم وعن أساس للبحث والإبداع ويرسم هؤلاء الاطفال الخطط ويبتكرون ويجربون الأشياء ويمتد ابتكارهم الى كل من العمل المدرسى والملعب ويسيلون إلى إعادة تنظيم بيئتهم وفق صيغ جديدة وذلك عن طريق الصور والرسم والألعاب، وهم يجدون في تخيل أنماط جديدة من الحياة التى يودون لو هيئت لهم وعاشوها كما أنهم في بعض الأحوال يميلون تنظيم التاريخ في تمثيليات تلقائية ويلعبون دوراً فيما يرسمونه من أخيلة، ويحيكون الأقاصيص والأشعار والأحاديث. أما مخيلتهم فانها تقودهم الى عملية البناء والى الاختراع والى اجراء التجارب على الأشياء التى تعتبر جديدة عليهم وهم كذلك يتخطون حدود المواد والطرائق كما يتخطون مستوى أعمارهم وحدود خبراتهم ويسبحون باخيلتهم فيما يتناسب مع اهدافهم البعيدة ويتمكن كثير من الأطفال النابهين عن التعبير عما يساورهم من أخيلة في نثر أو شعر أو زجل أو قصص أو غير ذلك .

عبقرية الطفل إذًا تتضمن التمرد على القواعد والقيود والتحديدات الصارمة منذ نعومة الأظافر وأول ما يتمرد عليه العبقرى الصغير هو «السلطة الأبوية الاستبدادية» التى تحاول قتل الموهبة وكبح جماحها وخنقها بالقيود الصارمة على أنه سرعان ما يمتد هذا التمرد الى كافة السلطات والقواعد الثابتة خارج نطاق الاسرة حتى يشمل كل ماهو ثابت أو مألوف أو متفق عليه، إن عملية هدم وإعادة بناء كل شىء في صيغ جديدة من العمليات الجوهرية التى يقوم بها الذهن العبقرى منذ الطفولة وهى عملية تحتاج الى

جرأة ينبغي أن نساعد أنفسنا أو أطفالنا عليها مهما كانت اهمية الشيء المجترأ عليه لدينا فالحق أن الشرط الأساسي لكل عبقرية هو التحرر من أسر الصيغ المسبقة لتكوينات الاشياء والقضايا في عالمنا والتمرد عليها ومحاولة هدمها وإعادة إنتاج صيغ جديدة بديلة ومتفوقة عنها، ولولا هذا المبدأ الأساسي لما تطورت سائر المعارف الانسانية ولظل الإنسان يحيا في الغابات مع أبناء عمومته فوق الأشجار يخشى البرق والصواعق والنار والوحوش، ويفسر ظواهر الطبيعة بالخرافات والأساطير، ويستعين بالقوى الخفية على قضاء حوائجه وتسيير حياته بدلا من الاعتماد على نفسه وقواه العقلية .

اكتساب العبقرية كذلك يقتضي منا تطوير وتنمية مواهبنا وملكاتنا بعد تحررنا وتمردنا على كافة الصيغ المطلقة والمسبقة التى يحتويها الوجود إذ لاقيمة لتحرر أو تمرد لايقوده العقل الموهوب نحو شراطىء العبقرية الحقة .

فإذا أردنا تنمية تلك المواهب والقدرات كان علينا أن نعلم أن منبع كافة القوى الإنسانية هو النفس والعقل، وأن الوصول بالمناشط الإنسانية الى اقصى قوتها لايكون الا بتنمية النفس والعقل معا، أى بمحاولة الحفاظ الدائم على الاتساق النفسي والتوازم بين الشخصية والعالم من جهة ومحاولة تنمية القدرات العقلية من جهة أخرى .

والحق أن العصر الذى نحياه ، خاصة في العالم الثالث، يحول بين الانسان وبين اتساقه النفسي الكامل مع الذات أو مع العالم، غير أن التوتر الناشيء عن عدم الاتساق هذا قد يكون مفيدا بعض الشيء إذا تلازم مع

القوه الكامنة للتحدى والإصرار على الاستمرار في صياغة الانسان لمشروع وجوده الذاتي بشكل مغاير تماما للمشروع الوجودى للجماعة التى نشأ بها.

أما تنمية القدرات العقلية فشيء لامناص منه، وأهم هذه القدرات «قدرة التحليل» وامتلاك ملكة النقد العقلي وهما من القدرات التى يمكن تحصيلها بالتدريب على تنمية القوى العقلية فإذا تمكنا بالفعل من امتلاك القدرة التحليلية الناقدة في ظل التوتر الوجودى الناشيء عن نظام العلاقات في عالمنا الثالث كانت تلك خطوة من أهم الخطى تجاه اتخاذ موقف جذرى من الحياة والعالم يتحول بعدها جهازنا النفسيّ والعقلى الى موقف التحليل والنقد لكل شيء وما يفتأ هذا النقد أن يتحول الى تمرد، ثم يتحول التمرد الى محاولة لإيجاد الحلول والبدائل أى يتحول الفكر الى عمل وإبداع هدفه إعادة صياغة الوجود الجمعي بعد التمرد على نمط الوجود الفردى في ثبوته وجموده على كافة المباديء والقواعد القديمة .

إن التمرد العبقرى القائم على الرفض العقلانى لنمط اكتشاف ووجود العلاقات والعلاقات بين العلاقات، في عالمنا هو الذى يحقق التوازن النفسى المطلوب للشخصية الموهوبة التى تعي ضرورة تنمية منابع الموهبة في ذاتها ومنها النفس والوجدان.

إن الغذاء الذى تقتات عليه النفس هو المشاعر والإنفعالات، وتنمية النفس إذاً تحتاج إلى التحكم في نوع الغذاء النفسي الذى نقدمه لأنفسنا، فكلما كان الغذاء سليما غير فاسد صحت النفس ونشطت للقيام بمهام أهم وأخطر

نحاول التمسك بها وغرس بذورها في أنفسنا عن طريق الإيحاء الذاتي ومن هذه المشاعر الثقة بالنفس، والشعور بالقدرة على انجاز المهام الكبرى .. إلخ، أما المشاعر والانفعالات السلبية فهي أي شعور ينتج عن فكرة تقر في النفس يكون أثرها هو الاحباط أو التقاعس أو الشعور بالنقص . الخ ..

من الواجب إذاً أن يصبح همنا الأول هو تنمية تلك الطاقات والامكانات لهدف وحيد هو تحقيق الذات، أو على الأدق:تحقيق نمط وجود-ذاتي متمايز ومغاير لنمط الوجود الجمعي وتركيز كل قوتنا وطاقتنا من أجل إنجاز هذا الهدف سوف يقلل بالطبع من اهتماماتنا الأخرى التقليدية بكل ماهو اعتيادي أو متفق عليه، على اعتبار ان الكثير من المسائل التقليدية أو الاعتيادية ليست ذات بال أو هي بالأحرى مسائل ليس لها أهمية الا لدى غير العباقرة ، حتى لوكانت تلك المسائل خاصة بمواصفات المجتمع وعلاقاته الاجتماعية وقيمه الجمالية ذلك لأن(١): «شكليات النظام تعمل في كثير من الاحيان على مضايقة العبقري ، وتجعله في جهد دائم للتخلص من تلك القيود التي تفرض عليه باسم النظام .. نعم إن النظام من الوسائل الفعالة في حياة كل انسان، وهو يعتبر من الوسائل الاساسية التي تؤدي الى انتاجية اكبر في وقت قصير وبمجهود قليل ولكن كثيرا من العباقرة يحبون أن يخلقوا لانفسهم نوعا من النظام يتفردون به، ويكون من ابتكارهم شخصيا، لدرجة انك تحسب النظام الذي يضعونه لأنفسهم نوعا من الفوضى . انهم مثلا يرتبون المعمل أو المكتبة بطريقة مواتية معينة لاتجد لها صدى في قلوب أو نفوس الآخرين .فلربما يكون النظام من وجهة نظرك هو

ذلك الذى يتمشى مع الاحجام واتساقها ، أو ذلك الذى يجعل الألوان وانسجامها هو الاساس في الترتيب والتصنيف ولكن الأمر لايكون كذلك بالنسبة للعبقرى، فهو قد يجعل النظام لديه متمشيا مع المناشط التى يقوم بها غير عابىء بأى اعتبار آخر يتعلق بالشكليات الخارجية التى تتفق مع الجمال (التقليدى) كما يرتسم في ذهنك أو كما تجد له صدى في قلبك. ولقد يكون النظام الذى يرتضيه العبقرى منافيا للذوق الشائع، وحتى قد يكون منفرا للذوق العام، أو غير متمشى مع البروتوكول أو مع ما تواضع عليه المجتمع، ولكنه غير ذلك في نظر العبقرى، وكما سبق أن ذكرنا فإن العبقرى يفرض ذاتيته البحتة على العمل الذى يقوم به، ولا يأخذ في اعتباره مبدأ التكيف الاجتماعى كمثل أعلى يستهدفه في حياته أو تصرفاته. اكثر من هذا فإن العبقرى يجب أن لا يتقيد بالواجبات الاجتماعية أو المجاملات اليومية، ويجب الانعتب عليه إذا هو قصر في أداء الواجبات تجاه الآخرين، إنك لتجد أقارب العبقرى وجيرانه يتضايقون منه بادىء الأمر، ويعتبون عليه إهماله لشئونهم، وعدم مواساتهم في احزانهم أو مشاركته في افراحهم، ولكنهم سرعان مايصفحون عن التقصيرات التى تبدر منه أو إهماله لمشاعرهم، وذلك بعد تبلور عبقريته، ويظهر تفوقه، ويعترف له المجتمع بالتفوق والبزوغ، ويعترف لمجهوداته بالبراعة، ولوقته بالقيمة العالية التى لاينبغى أن يفرط أو يبددها في الشئون العادية التى يهتم بها الشخص العادى ».

إلى هذا الحد يجب أن تصل قوة التركيز على الهدف الأساسى وهو الاهتمامات الذاتية التى تحقق الذات العبقرية نفسها من خلالها، فالتحرر

الذى تحدثنا عنه والذى يبدأ بالتمرد يمتد ليشمل كل شيء دونما جرح أو استثناء ، إن تحطيم القواعد والثوابت المتعارف عليها مبدأ أساسى من المبادىء التى تحكم حياة العبقرى وسلوكه ولا يستثنى من ذلك أى مجال أو جانب من جوانب الحياة العادية .

لكن لا يكفى هذا المبدأ وحده لصياغة حياة العبقرى صياغة مختلفة ومتميزة عن حياة الآخرين . هناك عدد كبير من المبادىء التى تنظم السلوك العبقرى وتحكم الحياة العبقرية وتحدد مسارها حتى لاتنحرف لحظة أو تحيد عن الهدف الذى يتوخاه العبقرى .. فاذا أردت أن تحكم حياتك وتنظمها بتلك المبادىء لتنضم الى قائمة العباقرة فاتبع النصائح التالية .

** بدأ فورا بتنمية مواهبك وقدراتك وحدد الوسائل المناسبة لذلك ووفرها بقدر الامكان .

** لا تستسلم للفشل منذ المحاولة الأولى .. حاول مرات .. ومرات دون كلل .

** لا يجب أن تحتل الأعمال الروتينية مساحة اكبر مما ينبغى في حياتك أو على الأقل لاتسمح لها أن تطغى على الوقت المخصص للأعمال ذات الأهمية الكبرى .

** إذا انتهيت من عمل لا تعد إليه مرة أخرى إلا إذا شعرت بان ثمة خطأ فيه يستحق الدراسة حتى تتمكن من تلاشى الاخطاء فيما بعد أو الإقلال منها قدر الإمكان .

** إذا اضطلعت بعمل من الأعمال، لا تفكر في عمل آخر قبل الانتهاء من عملك الأول الذى يجب أن يستحوذ على كل ذهنك واهتمامك وتركيزك حتى تتمه على الوجه الأكمل .

** لايجب أن تكون الثمار المادية هى كل هدفك من النجاح، واعلم ان نجاحك مرهون بسعيك الدائم لتحقيق قيمتك الذاتية وهى قيمة أعلى من كل القيم المادية .

** لايجب عليك الاستسلام للشعور بعدم جدوى مجهودك إذا لم تكافأ على هذا المجهود، بل يجب عليك الاستمرار في عملك والإصرار على إظهار تمايزه وتفوقه على أعمال الغير واعلم أن هذا لايتم بالأقوال بل بالأفعال والبحث الدائم عن الوسائل الجديدة وبذل المزيد من الجهد في التطوير والابتكار .

** اجعل هدفك الاساسى هو تحقيق النجاح والمكانة الكبرى بين أقرانك، وابحث عن الوسائل التى تحقق الهدف سواء كانت معنوية أم مادية واعلم إن نجاحك مرهون بتنمية مواهبك وقدراتك وحسن استغلالك وتوظيفك لها في مكانها الصحيح .

** لابد لك من التسليم بخطأ المثل القائل: «ليس في الإمكان أبدع مما كان» فقمة الإبداع ليست نهائية بل تليها قمم وقمم لاتبلغها الا همم لا تعترف بالمستحيل أو قصور الإمكانيات مهما كانت العوائق .

** لابد من الاعتراف بأن المثابرة والمواظبة مع النشاط والنظام في أداء العمل من أهم شروط نجاحه .

** لا تبخس نفسك حق قدرها ولاتعطها اكثر من حقها وتذكر انه مازال أمامك الكثير الذى يجب عليك أن تفعله لنفسك أو لغيرك.

** تساءل دائما عن جدوى حياتك إذا لم يستفد منها العالم .

** تذكر أن الاعمال العظيمة تحتاج الى همم أعظم فكن من أهل الهمة تكن من العظماء . واضطلع بالأعمال الكبرى دون الصغرى تكن من أهل الشأن ورفعة المكانة .

** مهما كانت المشاكل كثيرة وعظيمة لاتستسلم لها فإن مواجهتها وتحديها وإيجاد الحلول لها يزيد قوتك النفسية، وينمى شخصيتك وعقلك وقوة تحملك وقدرتك على الاستمرار من أجل تحقيق أهدافك .

** يجب أن تؤمن بأن الأفكار العظيمة العبقرية تحتاج الى مجهود ذهنى في البحث عنها فهى لا تأتي بالوحى أو الالهام أو الصدفة ، ولكى يثمر مجهودك الذهني يجب أن تتعلم كيف تحصر أفكارك وتنظمها حتى تواجه بها أعظم القضايا وتحللها وتفهمها وتصل فيها الى نتائج لم يكن ممكنا الوصول اليها من قبل .

** لاتشتت جهودك فيما لا طائل منه أو جدوى .

** استثمر الوقت في تنمية مختلف جوانب الحياة : العمل ، الصحة ، السعادة، الثقافة ، الترفيه، الأسرة ، ولاتجعل أحد الجوانب يطغى على

سائر الجوانب الأخرى ، وبذلك تحقق التوازن المطلوب لنفسك وللغير ممن يهتمون بك وتهتم بهم .

** عندما تفكر في مشكلة أو قضية لا تخضع لأى تحليل أو تفسير مسبق لا يصدر عن العقل وبذلك تكتسب عقلا موضوعيا يتسم بالواقعية والمنطقية والفكر العقلاني .

** عندما تفكر في اى مشكلة أو قضية لاتخضع فى طريقة التفكير فيها الا لتفكيرك أنت بشرط أن يكون هدف تفكيرك هو الوصول الى حلول جديدة مبتكرة أو أفكار لم يصل اليها أحد من قبل .

** إذا آمنت بقيمة المتعة الذهنية المتحصلة من معالجة القضايا الكبرى أمكنك القضاء على الملل الذى يحاول صرفك عن الاهتمام بتلك القضايا ليجعلك بالتالى من ضحايا الاهتمامات التافهة والحياة الضحلة .

** تساءل دائما عن أعمالك العظيمة التى قدمتها للعالم وتساءل عما سوف تقدمه، ثم لاتقف عند حدود هذا التساؤل .. بل ابدأ العمل .

المحتويات

رقم ايداع: ٩٦/٤٤/٢
الترقيم الدولي:×-٦٣١-٢٧٦-٩٧٧

هذا الكتاب

هو واحد من اثني عشر كتاباً كتبها المؤلف لتبسيط العلوم السيكلوجية ويدور كل كتاب منها حول موضوع يرتبط بصورة أو بأخرى بـ (الشخصية) وتتناول هذه السلسلة الموضوعات الآتية

الشخصية السوية، الشخصية القيادية، الشخصية المثالية، الخوف والتوتر النفسي، الذكاء وقوة الإرادة، اعرف نفسك، الشخصية العصرية، أسس الشخصية، كيف تكسب الآخرين، الطريق إلى النجاح، الشخصية المعوقات، السلوك العصبي

وقد حرص المؤلف على تناول أهم الموضوعات التي تمس حاضر ومستقبل الشباب ويرسم ملامح الشخصية الناجحة المعاصرة ومقوماتها الإيجابية كل هذا في أسلوب سهل مبسط يعرض الحقائق العلمية بطريقة سهلة التناول إيماناً منه بضرورة نشر المعرفة العلمية في الأوساط الشبابية لما تمثله هذه المعرفة من دفعة قوية في طريق المستقبل المشرق

الناشر